


فضيلة الشيخ العلاّمة
محمد بن صالح العثيمين

العلاّمة المحدث
محمد ناصر الدين الألباني

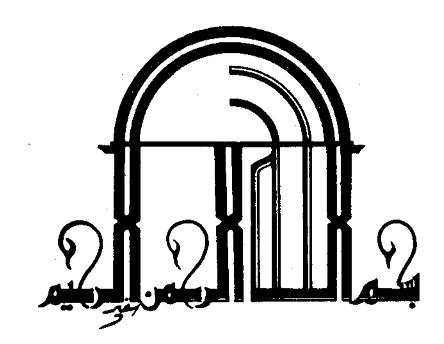
يليه

## أحاديث وآثار وقصص ضعيفة وموضوعة في التوسل

شيخ الإسلام ابن تيمية — الإمام ابن القيم — المحدّث الألباني

سماحة الشيخ ابن باز — العلامة ابن عثيمين — العلامة ابن جبرين

جمع وإعداد
أبو أنس علي بن حسين أبو لوز


بسم الله الرحمن الرحيم


التوسل
حكمه وأقسامه

ⓒ دار ابن خزيمة للنشر، ١٤١٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العثيمين، محمد بن صالح .
التوسل: حكمه وأقسامه . ـ الرياض .
١٤٤ص ؛١٧ × ٢٤ سم
ردمك : ٥ - ٢٣ - ٧١٩ - ٩٩٦٠

| | |
|---|---|
| ١- التوسـل | ٢- التوحـيد |
| ٣- العقيدة الإسلامية | أ- العنـوان |
| ديوي ٢٤٠ | ١٨/٢٠٥٧ |

رقم الإيداع: ١٨/٢٠٥٧
ردمك: ٥ - ٢٣ - ٧١٩ - ٩٩٦٠

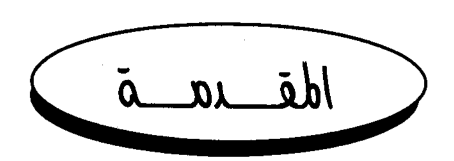


**الطبعة الأولى**

**١٤١٨هـ - ١٩٩٧م**

دار ابن خزيمة
للنشر والتوزيع

هاتف : ٤٧٦٩٩٣٢



# المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلاهادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

**أما بعد :**

فإن من المقرر في الشريعة الإسلامية أن أي عمل يقوم به الإنسان حتى يكون مقبولاً عند الله سبحانه وتعالى يجب أن يتحقق فيه شرطان وهما :

**الأول** : أن يكون العمل خالصاً لوجه الله ، لايقصد به السمعة ولا الرياء ولا متاع الدنيا الفاني ، قال تعالى : ﴿**فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** (١١٠)﴾ .(١)

الثاني : أن يكون العمل موافقاً لسنة النبي ﷺ ؛ أي يكون صواباً ، فإن خالف هدي النبي ﷺ فإنه لايقبل .

وإن من المسائل التي أشكل على بعض الناس فهمها قديماً وحديثاً (**مسألة التوسل**) . لذا فقد وقع كثير منهم في أنواع من التوسل الممنوع والمبتدع والذي يتنافى مع مبادئ الإسلام وهدي النبي ﷺ ؛ مما أفقد عملهم

---

(١) سورة الكهف ، الآية : ١١٠ .

الشرط الثاني من شروط قبول العمل .

وقد اتفق جمهور علماء أهل السنة والجماعة على شرعية التوسل ، واستدلوا على ذلك بالآيات والأحاديث الصحيحة فقد ذكر الله عز وجل الوسيلة بلفظها الخاص في موضعين من كتابه العزيز ، فقال تعالى : ﴿**أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ**﴾ . (١)

وقال تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ**﴾ . (٢)

وأما الأحاديث فقد روى البخاري في صحيحه عن جابر رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة ، آت محمداً الوسيلة والفضيلة ، وابعثه اللهم مقاماً محموداً الذي وعدته ، حلت له شفاعتي يوم القيامة** » . (٣)

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل مايقول ثم صلّوا عليّ، فإنه من صلى عليّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً ، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لاتنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة حلّت له الشفاعة** » . (٤)

والوسيلة لرسول الله ﷺ هي الدرجة العالية الرفيعة .

ولا خلاف بين العلماء في مشروعية التوسل ، ولكن الخلاف في كيفية

---

(١) سورة الإسراء ، الآية : ٥٧ .

(٢) سورة المائدة ، الآية : ٣٥ .

(٣) أخرجه البخاري برقم (٦١٤) .

(٤) أخرجه مسلم برقم ( ٣٨٤ ) .

التوسل ، فالكيفية هي التي انحرف فيها كثير من الخلق اليوم فوقعوا في توسلات بدعية وشركية ؛ لأنهم استدلوا بأحاديث ضعيفة وموضوعة وتمسكوا بها ؛ بل أولوا الآيات والأحاديث الصحيحة الواردة في التوسل تأويلات باطلة ومخالفة لمبادئ وأصول الدين الإسلامي .

ونظراً لأهمية موضوع التوسل ، وكثرة من وقع اليوم في التوسل الممنوع ـ وخاصة في البلاد التي يكثر فيها المتصوفة ، وأهل الطرق والأولياء والأضرحة والطواف حولها ونحو ذلك من البدع ، نسأل الله العافية ـ فقد قمت بجمع هذه المادة من مؤلفات فضيلة شيخنا العلامة محمد بن صالح العثيمين وفقه الله تعالى ، فلقد أجاد الشيخ وأفاد في تجلية هذه المسألة وبيان أقسامها وتوضيح المشروع منها والممنوع .

فجزا الله فضيلة الشيخ خير الجزاء ، ونفع الله بعلومه ، وأسأل الله تعالى أن يطيل في عمره ذخراً للإسلام والمسلمين إنه سميع مجيب .

ثم أسأله تعالى أن يرزقنا بهذا العمل الأجر والثواب ، وأن يثقل به موازين أعمالنا يوم نلقاه ، إنه ولي ذلك والقادر عليه ، والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

**وكتبه**

**أبو أنس علي بن حسين أبو لوز**

عصر يوم السبت الثامن من شهر المحرم

لعام سبعة عشر وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية

على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم

الموافق ٢٥/ ٥/ ١٩٩٦م

الرياض - حي الخالدية



# تعريف التوسل

**التوسل في اللغة** : مأخوذ من الوسيلة ، والوسيلة والوصيلة والتوسل والتوصل معناهما متقارب ؛ لأن السين والصاد دائماً يتناوبان ، يعني أحدهما يستعير المكان من الآخر ، ولهذا يقرأ قوله تعالى : ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾[١] ويقرأ : ﴿ **اهدنا السراط** ﴾ بالسين وكلاهما قراءة سبعية فيجوز أن تقرأ : ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ . صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ**﴾[٢] . أو تقول : ﴿**اهدنا السراط المستقيم . سراط الذين أنعمت عليهم**﴾ .

فالتوسل والتوصل معناهما متقارب جداً .

والوسيلة هي : السبب الموصل إلى المقصود.[٣]

**وفي الشرع** : عبادة يراد بها التوصل إلى رضوان الله والجنة ، ولهذا نقول : جميع العبادات وسيلة إلى النجاة من النار ودخول الجنة ، قال الله تعالى : ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ**﴾ .[٤] فإذا صمت رمضان فإنه يقال : هذا وسيلة إلى مغفرة الذنوب ، وقمت رمضان : وسيلة أيضاً لمغفرة الذنوب ، وقمت ليلة القدر : وسيلة لمغفرة

---

(١) سورة الفاتحة ، الآية : ٦ .

(٢) سورة الفاتحة ، الآيتان : ٦ ، ٧ .

(٣) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين : (٥/ ٢٧٩) .

(٤) سورة الإسراء ، الآية : ٥٧ .

الذنوب ، وكل هذا لابد أن يكون إيماناً واحتساباً [١] ، إذن الأعمال الصالحة كلها وسيلة ، والغرض من الأعمال الصالحة قوله تعالى : ﴿ **فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ** ﴾ [٢]، ولهذا كان النبي ﷺ يستعيذ من النار فيقول : « **أعوذ بالله من النار ، وويل لأهل النار** » [٣] . [٤]

---

(١) يشير الشيخ إلى بعض الأحاديث في ذلك مثل :
(أ) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه** » أخرجه البخاري برقم (٣٨) ومسلم برقم (٧٦٠) .
(ب)و عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه** » أخرجه البخاري برقم (٣٧) ومسلم برقم (٧٥٩) .
(جـ) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من يُقم ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه** » أخرجه البخاري برقم (٣٥) ومسلم برقم (٧٦٠ ) ـ١٧٥ ، ١٧٦ .
(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٨٥ .
(٣) أخرجه أبو داود برقم (٨٨١) وابن ماجة برقم (١٣٥٢ ) وأحمد في مسنده ( ٤/ ٣٤٧) والطبراني (٧/ ٩٢ ) . عن أبي ليلى رضي الله عنه .
(٤) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين : (٥/ ٢٧٩ , ٢٨٠) .

# أقسام التوسل

أولاً : التوسل المشروع .

ثانياً : التوسل الممنوع .



# تمهيد

التوسل إلى الله تعالى هو اتخاذ وسيلة لإجابة الدعاء، والتوسل في دعاء الله أن يقرن الداعي بدعائه مايكون سبباً في قبول دعائه ، ولابد من دليل على كون هذا الشيء سبباً للقبول ، ولايعلم ذلك إلا من طريق الشرع، فمن جعل شيئاً من الأمور وسيلة له في قبول دعائه بدون دليل من الشرع فقد قال على الله مالا يعلم ، إذ كيف يدري أن ماجعله وسيلة مما يرضاه الله تعالى ، ويكون سبباً في قبول دعائه؟ .

**والدعاء من العبادة** ، والعبادة موقوفة على مجيء الشرع بها .

وقد أنكر الله تعالى على من اتبع شرعاً بدون إذنه وجعله من الشرك، فقال تعالى : ﴿**أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ**﴾ . (١) وقال تعالى : ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾(٢)، (٣)

**والتوسل في دعاء الله تعالى قسمان :**

**القسم الأول: توسل مشروع وهو** : ما كان بوسيلة جاءت بها الشريعة وهو أنواع :

**النوع الأول** : التوسل إلى الله تعالى بأسمائه .

---

(١) سورة الشورى ، الآية: ٢١ .

(٢) سورة التوبة ، الآية: ٣١ .

(٣) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين : (٢/ ٣٤٠/ ٣٤١) .

**النوع الثاني** : التوسل إلى الله تعالى بصفاته .

**النوع الثالث** : التوسل إلى الله تعالى بأفعاله .

**النوع الرابع** : التوسل إلى الله تعالى بالإيمان به .

**النوع الخامس** : التوسل إلى الله تعالى بحال الداعي .

**النوع السادس** : التوسل إلى الله تعالى بدعاء الرجل الصالح الذي ترجى إجابة دعائه .

**النوع السابع** : التوسل إلى الله تعالى بالعمل الصالح .

**القسم الثاني : توسل ممنوع وهو** : ما كان بوسيلة لم تثبت في الشرع وهو نوعان :

**النوع الأول** : أن يكون بوسيلة سكت عنها الشرع .

**النوع الثاني** : توسل المشركين بأصنامهم وأوثانهم وتوسل الجاهلين بأوليائهم .

وسوف نفصل إن شاء الله القول في هذين القسمين وأنواعهما مع ذكر أدلة كل نوع ، فإلى المقصود والله المستعان .

# القسم الأول : التوسل المشروع

**التوسل المشروع والجائز هو** : التوسل بالوسيلة الصحيحة الموصلة إلى المطلوب، ويكون بوسيلة جاءت بها الشريعة ، **وهو أنواع** :

## النوع الأول: التوسل إلى الله تعالى بأسمائه :

وذلك على وجهين :

**الوجه الأول: التوسل إلى الله تعالى بأسمائه على سبيل العموم** :

**مثال ذلك** : ماثبت في الحديث الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه في دعاء الهم والغم : « **اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، ناصيتي بيدك ، ماضٍ فيَّ حكمك ، عدلٌ فيّ قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أو أنزلته في كتابك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ، ونور صدري ، وجلاء حزني ، وذهاب همي** »[1] .

والشاهد من الحديث قوله : « **أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك**» .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده : (١/ ٣٩١) . قال أحمد شاكر في تحقيق المسند رقم (٣٧١٢) : إسناده صحيح وصححه الألباني في سلسلة الآحاديث الصحيحة (١٩٩) .

ونقول نحن: (اللهم إني أسألك بأسمائك الحسنى)، ودليل هذا القسم قوله تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا**﴾(١) .

**الوجه الثاني: التوسل إلى الله تعالى باسم خاص:**

**مثال ذلك**: أن تقول: ( ياغفور اغفر لي، يارحيم ارحمني، اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني). وهذا توسل باسم لكنه خاص.

وفي هذا النوع يجب أن يكون الاسم مناسباً للدعاء، فإذا أردت أن تسأل الله الرزق تقول: يارزاق، والمغفرة: ياغفور، والعفو: ياعفو، وهكذا.

لكن لو قلت: اللهم ياشديد العقاب اعف عني، فهذا غير مناسب، فكيف تتوسل باسم يدل على العقوبة إلى عفو الله عز وجل؟ إنما تدعو الله تعالى بالأسماء المناسبة لما تدعو به (٢).

**ومثال ذلك أيضاً**: ماجاء في حديث أبي بكر رضي الله عنه، حيث طلب من النبي ﷺ دعاءً يدعو به في صلاته فقال: « **قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كبيراً، ولايغفر الذنوب إلاّ أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم** ». (٣) فطلب المغفرة والرحمة توسل إلى

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.
(٢) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين ( ٥ / ٢٨٠، ٢٨١ ).
٣) أخرجه البخاري برقم (٨٣٤)، ومسلم برقم (٤٨٨).
ومن الأدلة على جواز التوسل إلى الله باسم من أسمائه أن النبي ﷺ سمع رجلاً يقول في تشهده: اللهم إني أسألك يا ألله الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، أن تغفر لي ذنوبي، إنك أنت الغفور الرحيم، فقال ﷺ: « قد غفر له، =

الله تعالى باسمين من اسمائه مناسبين للمطلوب ، فقال : « **إنك أنت الغفور الرحيم** » .

وهذا النوع من التوسل ، داخل في قوله تعالى : ﴿**وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا**﴾(١) فإن الدعاء هنا يشمل دعاء المسألة ودعاء العبادة .(٢)

## النوع الثاني : التوسل إلى الله تعالى بصفاته :

وهو على وجهين :

**الوجه الأول: التوسل إلى الله تعالى بصفاته على سبيل العموم :**

**مثال ذلك:** أن تقول : ( اللهم إني أسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العليا . . . ثم تذكر مطلوبك) وهذا التوسل صحيح .

**الوجه الثاني: التوسل إلى الله تعالى بصفة خاصة :**

**مثال ذلك**: ماجاء في الحديث : «**أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد**

= قد غفر له » ثلاثاً. أخرجه أبو داود (٩٨٥) وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٨٦٩).

ومن الأدلة أيضاً : كان من أدعية النبي ﷺ : « **ياحي يا قيوم ، برحمتك استغيث** » أخرجه الترمذي (٣٥٢٤) وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٧٩٦) .

قال العلامة الألباني : «فهذه الأحاديث وما شابهها تبين مشروعية التوسل إلى الله تعالى باسم من أسمائه أو صفة من صفاته ، وأن ذلك مما يحبه الله ويرضاه ، ولذلك استعمله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فكان من المشروع لنا أن ندعوه بما دعاه به صلى الله عليه وآله وسلم ، فذلك خير ألف مرة من الدعاء بأدعية ننشئها ، وصيغ نخترعها » . أ . هـ التوسل أنواعه وأحكامه ص (٣٥) .

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٨٠ .

(٢) فقه العبادات ، ص : (٨٩) .

**وأحاذر»** [١] . فهنا توسل بصفة من صفات الله عز وجل وهي : (عزة الله) .

**ومثال ذلك أيضاً** : ماجاء في الحديث : « **اللهم بعلمك الغيب ، وقدرتك على الخلق أحيني ماعلمت الحياة خيراً لي ، وتوفني إذا علمت الوفاة خيراً لي** » .[٢] فهنا توسل لله تعالى بصفة (العلم) و(القدرة) وهما مناسبان للمطلوب [٣] .

## النوع الثالث: التوسل إلى الله تعالى بأفعاله :

بأن تدعو الله بشيء ثم تتوسل إليه بتحقيق هذا الشيء بفعل نظيرة ، ومنه حديث الصلاة على النبي ﷺ : « **اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم** » [٤] ، فإن صلاة الله على إبراهيم وعلى آل إبراهيم من أفعاله[٥] .

فأنت تسأل الله الذي منَّ بصلاته على إبراهيم وعلى آل إبراهيم أن

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٢٠٢) عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه .

وقوله : « بعزة الله » ليست في رواية مسلم ، وهي في رواية أبي داود برقم (٣٨٩١) .

(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٦٧١) ، ومسلم برقم (٢٦٨٠) عن أنس رضي الله عنه .

(٣) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين ( ٥/ ٢٨١ ) .

(٤) هذه إحدى صيغ الصلاة على النبي ﷺ التي تقال في التشهد الأخير من الصلاة وغيره ، وقد أخرجها البخاري برقم (٣٣٧٠) .

وهناك صيغ أخرى للصلاة على النبي ﷺ ينبغي للمسلم أن يحفظها قدر الإمكان وأن يأتي بهذه مرة وبهذه مرة حتى تحفظ سنة الرسول ﷺ .

(٥) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين : (٢/ ٣٥٢ ، ٣٥٣) .

يمنَّ بصلاته على محمد وعلى آل محمد ، فالكاف في قولك : « **كما صليت** » ليست للتشبيه ولكنها للتعليل ، والكاف تأتي للتعليل كما قال ابن مالك في الألفية :

**شبه بكاف وبها التعليل قد　　　يعني وزائداً لتوكيد ورد**

والشاهد من البيت قوله : ( وبها التعليل قد يعني ) يعني قد يراد بها التعليل : « **اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم** » يعني لأنك صليت على إبراهيم ، فمنتك على عبدك وخليلك إبراهيم وآله، نتوسل بها إليك ، أن تصلي على خليلك محمد وآله .

**ومثال ذلك في القرآن**: على أن الكاف للتعليل قوله تعالى : ﴿**وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ**﴾ (١) واذكروه لأنه هداكم ، وعلى كل حال المسألة معروفة ، والكاف للتعليل .

وإذا قلنا : إن الكاف للتعليل في قوله : « **كما صليت** » سلمنا من شبهة مشهورة عند العلماء وهذه الشبهة يقولون : إذا قلنا : الكاف للتشبيه حصل إشكال ؛ لأن معنى ذلك : أننا نطلب أن الله يصلي على محمد ﷺ وآله، صلاة دون صلاة إبراهيم وآله ، بناء على أن المشبه أقل من المشبه به ، فإذا قلت : فلان كالبحر في كرمه ، فمقتضى ذلك أنه دون البحر ، فإذا جعلنا الكاف في قوله « **كما صليت** » للتشبيه معناه أننا نطلب من الله صلاة تكون في الواقع دون الصلاة على إبراهيم وآله .

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٩٨ .

فإذا قلنا: إن الكاف للتعليل فالمعنى أنك تسأل الله الذي منَّ بصلاته على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، أن يمنَّ بصلاته على محمد وعلى آل محمد، وبذلك يزول الإشكال نهائياً.

ولا حاجة إلى ماذكره بعض الناس وتكلف فيه من أهل العلم.

ومعنى: « **اللهم صل على محمد** ». صلاة الله على النبي ﷺ معناها: اللهم أثن عليه في الملأ الأعلى، واذكره بالجميل.

وليست صلاة الله على عبده بمعنى رحمته، وإن كان بعض العلماء قال: (إن الصلاة من الله الرحمة) لكنه قول مرجوح بالآية التي قال الله فيها: ﴿ **أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ** ﴾[١]، والعطف يقتضي التغاير[٢].

ومن التوسل إلى الله تعالى بأفعاله أن تقول: (اللهم كما أنزلت علينا المطر فاجعله غيثاً نافعاً) فهنا توسل إلى الله بإنزال المطر، وهو فعل من أفعال الله». [٣]

## النوع الرابع: التوسل إلى الله تعالى بالإيمان به:

أي أن يتوسل الإنسان إلى الله تعالى بالإيمان به وبرسوله فيقول: (اللهم بإيماني بك وبرسولك أسألك كذا وكذا). فيصح هذا،

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٧.
(٢) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين (٥/ ٢٨١/ ٢٨٢).
(٣) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين (٢/ ٣٥٣).

ودليله قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ... إلى أن قال: رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ (١٩٣)﴾[١] أي فبسبب إيماننا برسولك فاغفر لنا، فجعلوا الإيمان به وسيلة للمغفرة[٢].

ومن الأدلة على ذلك أيضاً: قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾.[٣]

ومن ذلك أيضاً: قوله عن الحواريين: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٥٣)﴾.[٤].[٥]

فالتوسل بالإيمان بالله، والإيمان برسوله ﷺ، والتوسل بمحبة الله، ومحبة رسوله ﷺ جائز؛ لأن الإيمان بالله سبب موصل للمغفرة، ومحبة الله ورسوله سبب موصل للمغفرة فصح أن يتوسل إلى الله تعالى به[٦].

---

(١) سورة آل عمران، الآيات: ١٩٠ ـ ١٩٣.
(٢) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين (٥/ ٢٨٣)، وفقه العبادات (ص: ٩٠).
(٣) سورة المؤمنون، الآية: ١٠٩.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٥٣.
(٥) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين (٢/ ٣٤٢).
(٦) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين (٥/ ٢٨٣).

## النوع الخامس: التوسل إلى الله تعالى بحال الداعي :

أي أن يتوسل إلى الله بحاله ، وماهو عليه من الحاجة، ولايذكر شيئاً، مثل أن يقول: (اللهم إني أنا الفقير إليك ، اللهم إني أنا الأسير بين يديك) وما أشبه ذلك ، والدليل على ذلك: قول موسى عليه الصلاة والسلام حين سقى للمرأتين ثم تولى إلى الظل فقال: ﴿ **رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ** ﴾[١] ولم يذكر شيئاً.

ووجه هذه الآية أن حال الداعي إذا وصفها الإنسان فإنها تقتضي الرحمة واللطف والإحسان ؛ لاسيما إذا كانت بين يدي أرحم الراحمين جل وعلا.

أرأيت لو أن رجلاً مشى معك وقال: أنا فقير أبو عائلة لاأستطيع التكسب غريب الدار ، فيسأل ويتوسل إليك بحاله ، فأنت إذن تعرف الأمر وتعطيه إذا كنت كريماً[٢] .

ومن ذلك قول زكريا ، عليه الصلاة والسلام: ﴿**رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا** ﴾[٣]

فهذه أنواع من التوسل كلها جائزة ؛ لأنها أسباب صالحة لحصول المقصود بالتوسل بها.[٤]

---

(١) سورة القصص ، الآية : ٢٤.

(٢) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين ( ٥ / ٢٨٣ ) .

(٣) سورة مريم ، الآية: ٤.

(٤) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين : (٢/ ٣٣٨).

## النوع السادس: التوسل بدعاء الرجل الصالح الذي ترجى إجابة دعائه :

فإن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يسألون النبي ﷺ أن يدعو الله بدعاء عام ، ودعاء خاص :

ففي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن رجلاً دخل يوم الجمعة والنبي ﷺ كان يخطب الناس ، فاستقبل النبي ﷺ وقال : يارسول الله هلكت الأموال ، وانقطعت السبل فادع الله يغيثنا ، فرفع النبي ﷺ يديه ثم قال : « **اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا** » - ثلاث مرات- قال أنس بن مالك : «والله مانرى في السماء من سحاب ولا قزعة - والقزعة هي القطعة الصغيرة من الغيم- ، ومابيننا وما بين سلع من بيت ولادار -وسلع جبل بالمدينة تأتي من نحوه السحب- قال : فخرجت من ورائه سحابه مثل الترس ، فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت ، فما نزل النبي ﷺ من منبره إلا والمطر يتحادر من لحيته .

وفي هذا آيتان : آية من آيات الله ، وآية من آيات رسوله ﷺ :

* **أما من آيات الله** : فالمقدرة العظيمة بهذه السرعة نشأ السحاب ورعد وبرق وأمطر ، فما إن نزل رسول الله ﷺ من منبره إلا والمطر يتحادر من لحيته ، والمعروف أن النبي ﷺ كان لايطيل الخطبة ، وهذا أتى في أثناء الخطبة .

* **وأما كونه آية من آيات النبي ﷺ** : فإن الله أجاب دعاءه بهذه السرعة ، وآيات النبي ﷺ في جلب الماء من السماء أو من الأرض معلومة ،

فبقي المطر ينزل أسبوعاً كاملاً حتى سال الوادي المعروف بالمدينة باسم (قناة) سال شهراً كاملاً ، فجاء الرجل أو رجل آخر من الجمعة الثانية والنبي ﷺ يخطب ، فقال : يارسول الله تهدم البناء ، وغرق المال ، فادع الله يمسكها عنا ، فرفع النبي ﷺ يديه وقال : « **اللهم حوالينا ولاعلينا** » ، وجعل يشير بيده فما يشير إلى ناحية إلا انفرجت ، ليس بقدرة الرسول ﷺ ، ولكن بقدرة الله عز وجل ، «**اللهم حوالينا ولاعلينا**» فجعل السحاب يتفرق ، يمطر حول المدينة ، ولايمطر في المدينة ، فخرجوا من الصلاة وهم يمشون في الشمس .

فالرجل قال : ( ادع الله يمسكها عنا ) والنبي ﷺ لم يسأل الله أن يمسكها ؛ لأن إمساكها ليس من المصلحة ، لكنه دعا بدعاء تحصل به المصلحة وتزول المفسدة ، قال : « **اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الآكام وبطون الأودية ومنابت الشجر** » ، وفي هاتين القصتين كان الرسول ﷺ يرفع يديه وهو يخطب(١) .

**فالرجل الأول** : عندما سأل الله الغيث رفع الصحابة أيديهم معه وهم يستمعون الخطبة ، فيستفاد من هذا : أن الخطيب إذا دعا بالغيث أو دعا بالصحو أنه يرفع يديه ، وأن الناس يرفعون أيديهم معه إذا دعا بالغيث ، وفيما عدا ذلك إذا دعا الخطيب في خطبة الجمعة لايرفع يديه ولا يرفع الناس ، لأن الصحابة رضي الله عنهم أنكروا على بشر بن مروان حين خطب ودعا في الخطبة ورفع يديه ، فرفع اليدين في الدعاء في حال الخطبة

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٠٢١) ، ومسلم برقم (٧٩٨) .

ليس من هدي الرسول ﷺ إلا إذا دعا باستسقاء أو استصحاء.

ومن آيات النبي ﷺ كذلك: عندما كانوا في غزوة الحديبية، ونفد الماء الذي معهم فجاء الناس إلى النبي ﷺ، وقالوا: يارسول الله! نفذ الماء، وكان بين يديه ركوة -إناء من جلد- فوضع يديه في الماء، فجعل الماء يفور أمثال العيون حتى استقى الناس ورووا.[1] والله على كل شيء قدير.

وهذه الآية تأييد للرسول ﷺ.

وقد تكون الآية التي يرسلها الله عز وجل تكذيباً لمن أرسلت إليه:

يقال: إن مسيلمة الكذاب ادعى النبوة، فجاء إليه قوم فدعوه بالوصف الكاذب، وهو (يارسول الله) وهو من أكذب عباد الله، قالوا إن بئراً لنا نزحت وليس فيها إلا ماء قليل، تأتي إليها لعل الله يأتي فيها البركة، فجاء إلى البئر وأخذ ماءً بفمه ومَجَّه فيها ينتظر أن يخرج الماء إلى أعلى، ولكن الماء الذي فيها غار بالكلية، فالماء الذي كان موجوداً ذهب، فهذه آية من آيات الله، ولكنها آية لتكذيب هذا الرجل وليست لتأييده وتصديقه[2].

**ومن التوسل بدعاء الرجل الصالح الجائز**: أن النبي ﷺ لمّا ذكر أن في أمته سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولاعذاب، وهم: الذين

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤١٥٢).
(٢) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين (٥/ ٢٨٤، ٢٨٥).

لايسترقون، ولايكتوون ، ولايتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون ، قام عكاشة بن محصن فقال : يارسول الله! ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال : « **أنت منهم** »[١] ، فهذا أيضاً من التوسل الجائز ، أن يطلب الإنسان من شخص أن يدعو الله تعالى له ، إذا كان هذا الشخص مرجوَّ الإجابة[٢] .

ولكن ينبغي أن تلاحظ أنك إذا طلبت من شخص أن يدعو لك وهو ممن ترجى إجابته أن يكون غرضك بذلك مصلحته هو لامصلحتك أنت .

فإذا سألت إنساناً مرجو الإجابة بالدعاء ، أن تقصد بطلبك منه أن يدعو لك لمصلحته هو لا مصلحتك أنت ، فكيف يكون مصلحته؟ لأن الإنسان إذا دعا لأخيه بظاهر الغيب قال له الملك : آمين ولك بمثله[٣] ، فإذا دعا لك أخوك الذي طلبت منه أن يدعو لك بظاهر الغيب قال الملك : آمين ولك بمثله .

أما إذا طلبت منه أن يدعو لك وأنت لا تريد إلا مصلحتك فقط ، فإن هذا يخشى أن يكون من المسألة المذمومة ؛ لأن من جملة مابايع النبي ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٧٠٥) ، ومسلم برقم (٢١٨ ـ ٢٢٠) .

(٢) فقه العبادات ص : ( ٩٢ ) .

(٣) لحديث أم الدرداء رضي الله عنها قالت ، قال النبي ﷺ : « دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة ، عند رأسه ملك موكل ، كلما دعا لأخيه بخير ، قال الملك الموكل به : آمين ولك بمثل » . أخرجه مسلم برقم ( ٢٧٣٣ ) .

أصحابه عليه أن لايسألوا الناس شيئاً [١] .

وهذه مسألة ينبغي أن ينتبه لها حتى لانقع في ذل المسألة [٢] .

**تنبيه:**

هذا النوع من التوسل إنما يكون في حياة الداعي ، أما بعد موته فلايجوز لأنه لاعمل له ، فقد انتقل إلى دار الجزاء ، ولذلك لما أجدب الناس في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يطلبوا من النبي ﷺ أن يستسقي لهم ، بل استسقى عمر بالعباس عمّ النبي ﷺ ، فقال له : قم فاستسق ، فقام العباس فدعا . [٣]

وأما مايروى عن العتبي أن أعرابياً جاء إلى قبر النبي ﷺ فقال : (السلام عليك يارسول الله ، سمعت الله يقول : ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا**

---

(١) لحديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال : كنا عند رسول الله ﷺ تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال : « ألا تبايعون رسول الله ﷺ وكنا حديث عهد ببيعة فقلنا : قد بايعناك يارسول الله ، ثم قال : ألا تبايعون رسول الله . . . إلى أن قال : ولا تسألوا الناس شيئاً . . » الحديث أخرجه مسلم برقم (١٠٤٣) .

(٢) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين ( ٥ / ٢٨٦ ) .

(٣) أخرجه البخاري برقم (١٠١٠) .
وكان من دعاء العباس : ( اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب ، ولم يكشف إلا بتوبة ، وهذه أيدينا إليك بالذنوب ، ونواصينا إليك بالتوبة ، فاسقنا الغيث ) فتح الباري للحافظ ابن حجر ( ٢ / ٥٧٧ ) وقد عزاه ابن حجر إلى كتاب الأنساب للزبير بن بكار .

رَّحِيمًا﴾ . [١] وقد جئتك مستغفراً من ذنوبي مستشفعاً بك إلى ربي ، وذكر تمام القصة [٢] ، فهذه كذب ولاتصح ، والآية ليس فيها دليل لذلك ، لأن الله يقول : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ ولم يقل : (إذا ظلموا أنفسهم) و﴿إذ﴾ لما مضى لا للمستقبل ، والآية في قوم تحاكموا أو أرادوا التحاكم إلى غير الله ورسوله ، كما يدل على ذلك سياقها السابق واللاحق .

## النوع السابع: التوسل إلى الله تعالى بالعمل الصالح :

وهو أن يذكر الإنسان بين يدي دعائه عملاً صالحاً يكون سبباً في حصول المطلوب .

**ومثاله** : قصة الثلاثة الذين حدث عنهم الرسول ﷺ ، ثلاثة من بني إسرائيل أواهم المبيت إلى غار[٣] ؛ فدخلوا الغار ، فأراد الله عز وجل بحكمته أن تنطبق عليهم صخرة ابتلاء وامتحاناً وعبرة لعباده ، انطبقت عليهم الصخرة فأرادوا أن يدفعوها فعجزوا فقال بعضهم لبعض : إنه لايخرجكم من ذلك إلا أن تتوسلوا إلى الله تعالى بصالح أعمالكم ، فتوسلوا إلى الله بصالح أعمالهم :

**فقال أحدهم**: اللهم إنه كان لي أبوان شيخان كبيران ، وكنت لاأغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً ، فنأى بي طلب الشجر يوماً فلم أُرِحْ[٤] عليهما حتى

(١) سورة النساء ، الآية : ٦٤ .
(٢) ذكر هذه القصة ابن كثير في تفسيره عند تفسير هذه الآية ( ١/ ٥١٩ ، ٥٢٠ ) .
(٣)أخرجه البخاري برقم (٢٢٧٢) ، ومسلم برقم (٢٧٤٣) .
(٤) أرِحْ : بضم الهمزة وكسر الراء أي : لم أرد الماشية عن المرعى إليهما حتى ناما .

أمسيت فوجدتهما نائمين ، وكرهت أن أغبق أحداً قبلهما ، فبقي الإناء على يدي حتى برق الفجر ، ثم استيقظا فسقيتهما ، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فاصرف عنا مانحن فيه ، أو فافرج عنا مانحن فيه فانفرجت الصخرة قليلاً لكنهم لايستطيعون الخروج .

**أما الثاني:** فذكر أن له ابنة عم ، وكان يحبها حباً شديداً ، فأرادها على نفسها فأبت ، ثم إنه في سنة من السنوات ألمت بها الحاجة فجاءت إليه تطلب دفع حاجتها ، فدعاها إلى أن تمكنه من نفسها -هي للضرورة مكنته من نفسها- فلما جلس منها مجلس الرجل من امرأته ، قالت له : ياهذا اتق الله ، ولاتفض الخاتم إلا بحقه- فهذه كلمة عظيمة مؤثرة- قال : فقمت عنها وهي أحب الناس إلي- يعني ماتركتها رغبة لأني لا أريدها ، لكنني تركتها خوفاً من الله عز وجل حين ذُكِّرَ به- وأعطاها حاجتها . فجمع هذا الرجل بين كمال العفة والصلة ، قال : اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا مانحن فيه ، فانفرجت الصخرة إلا أنهم لايستطيعون الخروج .

**أما الثالث:** فذكر أن له أجراء -يعني أناس استأجرهم- وأعطى كل واحد منهم أجره ، إلا واحداً لم يعطه أجره ، فنماه له ، وصار فيه إبل وغنم وبقر ورقيق ، حتى جاء العامل يطلب أجره، فقال له : كل ماترى من الإبل والغنم والرقيق كله لك ، فقال له الأجير اتق الله ، لاتستهزئ به ، فقال : لا أستهزئ بك هذه أجرتك ، فأخذها الأجير وذهب بها كلها ، فهذه المعاملة والوفاء التام من هذا الرجل ؛ لأنه من الممكن أنه إذا جاء

يطلب أجره أن يعطيه أجره وينتهي ، لكن لأمانته ووفائه أعطاه كل مانماه أجره ، قال : اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا مانحن فيه ، فانفرجت الصخرة وخرجوا يمشون .

فهذا توسل إلى الله بالعمل الصالح وهو جائز .

فلو قال قائل : ( اللهم إني أسألك ببر والدي أن توفقني لبر أولادي بي )، فهذا توسل صحيح ، وهو توسل بالعمل الصالح[١] . [٢] .

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين ( ٥/ ٢٨٦ ، ٢٨٧ ) .

(٢) فهذه سبعة أنواع جائزة في التوسل إلى الله ، فمن استعمل أي نوع منها فإنه فعل المشروع ، أما غيرها من الأنواع فإنه مبتدع وقد يكون شركاً مخرجاً من الملة ـ والعياذ بالله ـ كما سيأتي بيان ذلك في الفصل القادم إن شاء الله .

# القسم الثاني : التوسل الممنوع

**التوسل الممنوع هو**: التوسل إلى الله تعالى بما ليس بوسيلة ، أي : بما لم يثبت في الشرع أنه وسيلة ، لأن التوسل بمثل ذلك من اللغو والباطل المخالف للمعقول والمنقول ، **وهو نوعان:**

## النوع الأول: أن يكون بوسيلة سكت عنها الشرع :

وهذا النوع من التوسل محرم وهو نوع من الشرك .

**مثال ذلك**: التوسل إلى الله تعالى بجاه شخص ذي جاه عند الله ، كالتوسل بجاه النبي ﷺ فيقول : ( اللهم إني أسألك بجاه نبيك كذا وكذا) ، ولايجوز ذلك لأنه إثبات لسبب لم يعتبره الشرع ، ولأن جاه ذي الجاه ليس له أثر في قبول الدعاء ، لأنه لايتعلق بالداعي ولا بالمدعو ، وإنما هو من شأن ذي الجاه وحده ، فليس بنافع لك في حصول مطلوبك أو دفع مكروبك ، ووسيلة الشيء ماكان موصلاً إليه ، والتوسل بالشيء إلى مالا يوصل إليه نوع من العبث ، فلايليق أن تتخذه فيما بينك وبين ربك [١] .

فالتوسل بجاه الرسول عليه الصلاة والسلام أو بذاته ليس مفيداً بالنسبة إليك، لأنه لايفيد إلا الرسول عليه الصلاة والسلام ، أما بالنسبة

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين : ( ٢/ ٣٤٣ ) .

لك فليس بمفيد لك حتى تتوسل إلى الله تعالى به ، ـ والتوسل كما قلنا ـ : اتخاذ الوسيلة الصالحة التي تثمر ، فما فائدتك أنت من كون الرسول عليه الصلاة والسلام له جاه ومنزلة عند الله [1] .

ومما يدل على أن التوسل بالنبي ﷺ الآن ليس بصحيح ، أن الصحابة قحطوا في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فخرج يستسقي بهم فقال : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا ـ والصحابة يتوسلون بنبيهم بدعائه- ، وإنا نستشفع إليك بعم نبينا فاسقنا ، فيقوم العباس بن عبد المطلب ويدعو الله تعالى بالسقيا فيسقون [2] . وهذا دليل على معنى التوسل بالنبي ﷺ الوارد عن الصحابة أن معناه : أنهم يتوسلون بدعائه لا بذاته [3] .

فإذا أردت أن تتوسل إلى الله على وجه صحيح ، فقل : (اللهم إني اسألك بإيماني برسولك ، أو بالمحبة لرسولك) أو ما أشبه ذلك ، فإن هذا من الوسيلة الصحيحة النافعة [4] .

**ومثال آخر على التوسل بوسيلة سكت عنها الشرع:** أن يتوسل الإنسان إلى الله عز وجل بدعاء ميت ، فيطلب من هذا الميت أن يدعو الله له ، فإن هذا ليس وسيلة شرعية صحيحة ، بل هو سفه من الإنسان أن يطلب من هذا الميت أن يدعو الله له ؛ لأن الميت إذا مات انقطع عمله ، ولايمكن أن

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين ( ٢/ ٣٤٠ ) .
(٢) سبق تخريجه صفحة : ( ٢٧ ) .
(٣) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين : (٥/ ٢٨٨) .
(٤) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين ( ٥ / ٢٨٨ ) . وفقه العبادات صفحة : ٩٣ .

يدعو لأحد ، حتى النبي ﷺ لايمكن أن يدعو لأحد بعد موته عليه الصلاة والسلام ، ولهذا لم يتوسل الصحابة رضي الله عنهم إلى الله بطلب الدعاء من رسوله ﷺ بعد موته ، فإن الناس لما أصابهم الجدب ، في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا ، فقام العباس رضي الله عنه فدعا الله عز وجل . (١)

ولو كان طلب الدعاء من الميت سائغاً ووسيلة صحيحة ، لكان عمر ومن معه من الصحابة يطلبون ذلك من رسول الله ﷺ ، لأن إجابة دعائه أقرب من إجابة دعاء العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه .

فالمهم أن التوسل إلى الله تعالى بطلب الدعاء من الميت ، توسل باطل لايحل ولايجوز . (٢)

**ومثال آخر على التوسل بوسيلة سكت عنها الشرع** : التوسل بذات الشخص وهذا ليس بشرعي ، بل هو من البدع من وجه ، ونوع من الشرك من وجه آخر .

* **فهو من البدع** : لأنه لم يكن معروفاً في عهد النبي ﷺ وأصحابه .

* **وهو من الشرك** : لأن كل من اعتقد في أمر من الأمور أنه سبب ولم يكن شرعياً فإنه قد أتى نوعاً من أنواع الشرك ، وعلى هذا لايجوز التوسل

---

(١) سبق تخريجه ص (٢٧) .

(٢) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين ( ٢/ ٣٣٩ ، ٣٤٠ ) وفقه العبادات ص : (٩٢ ، ٩٣) .

بذات النبي ﷺ ، مثل أن يقول : (أسألك بنبيك محمد ﷺ ) إلا على تقدير أنه يتوسل إلى الله تعالى بالإيمان بالرسول ﷺ ومحبته ، فإن ذلك من دين الله الذي ينتفع به العبد ، وأما ذات النبي ﷺ فليست وسيلة ينتفع بها العبد . (١)

## النوع الثاني : توسل المشركين بأصنامهم وأوثانهم وتوسل الجاهلين بأوليائهم :

وهذا توسل شركي ، ، لانقول : توسل بدعي ؛ بل هو توسل شركي ، ولايصح أن نسميه توسلاً ؛ بل هو شرك محض .

لأن هؤلاء المتوسلين يدعون من يزعمون أنهم وسيلة ، يأتي الرجل إلى من يزعمه ولياً ويقول : ياولي الله أنقذني -بهذا اللفظ- ، ياآل البيت أنقذوني ، يانبي الله أنقذني ، فهذا لايصح أن نسميه وسيلة ، ولكن نسميه شركاً ؛ لأن دعاء غير الله شرك في الدين ، وسفه في العقل .

* **شرك في الدين**: لأنهم اتخذوا شريكاً مع الله .

* **وسفه في العقل**: لأن الله يقول : **﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ۝﴾** (٢) .

ويوم القيامة لاينفعونهم : **﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا**

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين : ( ٢/ ٣٤٦) .
(٢) سورة الأحقاف ، الآية : ٥ .

بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾﴾[1] ، فوصف الله هذه المدعوات بأنها عاجزة لايستجيبون أبداً لو دعوهم إلى يوم القيامة ، وبأنها غافلة لاتدري من يدعوها ولاتحس بشيء من ذلك ، وبأنه إذا كان يوم القيامة وهو وقت الحاجة الحقيقية إذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ؛ كدعاء الأولياء والأصنام وماأشبهها .

فلايصح أن نقول إنها وسيلة ؛ بل هو شرك أكبر مخرج عن الدين : ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾[2] . [3]

فبين سبحانه وتعالى في هذه الآية أن من دعا مع الله إلها آخر فإنه كافر ولن يفلح ، أي : لن يحصل له مطلوبه[4] .

**مسألة:**

**فإن قال قائل** : نحن نطلب منهم أن يدعوا الله لنا .

**فالجواب**: أن هذا ضلال وسفه ، لأن هؤلاء الأموات لايستجيبون لكم، أي لايقدرون أن يدعوا الله بأن يستجيب لكم ، لأن الإنسان إذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث ، كما ثبت ذلك في صحيح مسلم من

(١) سورة الأحقاف ، الآية : ٦ .
(٢) سورة المؤمنون ، الآية : ١١٧ .
(٣) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين ( ٥/ ٢٨٧ ـ ٢٨٩ ) .
(٤) فتاوى منار الإسلام ( ١/ ٣٧ ) .

حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **إذا مات الإنسان إنقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية ، أو عمل ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له**» [١] . فلا عمل لهم بعد الموت ، ولا دعاء لهم بعد الموت ، وهم لايستجيبون لأحد[٢] .

**مسألة :**

**فإن قال قائل** : إن هؤلاء ربما يدعون هذه الأصنام أو هؤلاء الأولياء ويحصل مطلوبهم ، ثم يأتون ويقولون : دعونا الولي الفلاني فأجاب ، دعونا هذا الصنم فأجاب ، فما موقفنا من ذلك؟

**فالجواب** : موقفنا من ذلك أن الله تعالى قد يحدث هذا الشيء عند الدعاء لا بالدعاء ، امتحاناً للداعي ، فقد يأتي الإنسان ويدعوا هذا الولي صاحب القبر بدعاء ثم يحدث له ما دعا به امتحاناً من الله عز وجل ، لا لأن هذا الولي هو الذي أعطاه إياه ؛ لأننا نعلم علم اليقين أن هذا الولي لن ينفعه ولن يستجيب له ، لكن قد يبتلى ، والابتلاء بتسهيل المعصية وارد في الأمم السابقة ، وفي هذه الأمة .

* **ففي الأمم السابقة** : قال الله تعالى : ﴿**وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٣)**﴾ [٣] . فحرم الله

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٦٣١) .

(٢) فتاوى منار الإسلام : ( ١ / ٣٨ ) .

(٣) سورة الأعراف ، الآية : ١٦٣ .

عليهم أن يصطادو السمك يوم السبت ، فبقوا على ذلك مدة من الزمن ، فابتلاهم الله ، فصارت الحيتان يوم السبت تأتي شرعاً على وجه الماء من كثرتها ، وغير يوم السبت لا يشاهدونها ، واليهود أهل مكر وكيد وخيانة ، وأهل طمع وشح ، قالوا : كيف لاتأتينا كل يوم عدا يوم السبت ، ونحن ممنوعون من اصطيادها ، فماذا نصنع أنحرم منها؟ بل ندبر حيلة بأن نعمل شبكة وننصبها يوم الجمعة ، فإذا جاء السمك يوم السبت دخل في الشبكة ، وإذا دخل لايستطيع الخروج ، فإذا كان يوم الأحد نأتي إلى الشبكة ونأخذ السمك الذي فيها .

فهذه حيلة ، يقولون : نحن مانصطاد يوم السبت ، فالشبك نصبناه يوم الجمعة والحيتان جاءت يوم السبت ، ونحن أخذنا الحيتان يوم الأحد ، ولقد عاقبهم الله على ذلك فقال : ﴿**وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ** (٦٥)﴾(١) ، فأمرهم الله أن يكونوا قردة ، وهذا أمر كوني ؛ فكانوا قردة ، وإنما أراد الله عز وجل أن يكونوا قردة ؛ لأن القرد أشبه مايكون بالإنسان ، فلما كان القرد أشبه مايكون بالإنسان ، وكان فعل هؤلاء شبيهاً بالمباح ؛ لأن ظاهره الإباحة وباطنه التحريم ، قال الله تعالى : ﴿**كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ**﴾ ولكن القردة الموجودة الآن غير القردة التي قلبت إليها هؤلاء الطائفة من اليهود ، لأن القردة الذين مُسِخَ بنو إسرائيل إليهم ، ذهبوا وفنوا بالكلية ، فهذه القردة جنس من الحيوان ،

---

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٦٥ .

وهذا ابتلاء من الله عز وجل أن الحيتان تأتي يوم السبت كثيرة وتنقطع في غير السبت ، ولكن لم يصبر بنو إسرائيل على ذلك فاحتالوا على محارم الله .

* **وفي هذه الأمة** : ابتلى الله عز وجل أصحاب النبي ﷺ ببلوى ؛ إذا أحرم الإنسان بحج أو عمرة حرم عليه الصيد : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ** ﴾ .(١) فأراد الله عز وجل أن يبتلي أصحاب الرسول ﷺ ، فأرسل الله إليهم صيداً تناله أيديهم ورماحهم ، فالصيد الذي يجري على رجله صاروا يمسكونه بأيديهم ، مثل الأرانب والظباء ، وصيد الطائر الذي لاينال إلا بالسهام ينالونه برماحهم : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ** ﴾ .(٢) والحكمة ليعلم الله من يخافه بالغيب ، فهل الصحابة وهم محرمون ، صاروا يمسكون هذا الصيد بأيديهم أو ينالونه برماحهم؟ أبداً ولا أحد من الصحابة صاد صيداً ولا حتى تحيل عليه .

وبهذا نعرف الفرق بين صلاحية هذه الأمة وبين بني إسرائيل ، على أنه وجد من خلف هذه الأمة من شابه اليهود في التحيل على محارم الله ، فهناك من يتحيلون على الربا ، وهناك من يتحيلون على النكاح ، وهناك من يتحيلون على ظلم إخوانهم بأنواع الحيل ، وكل من تحيل من هذه الأمة إلى الشيء المحرم بحيله فهو مشابه لأسخف عباد الله ، وهم اليهود .

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٩٥ .

(٢) سورة المائدة ، الآية : ٩٤ .

**وهناك أناس الآن يقولون**: إذا أعطيت الإنسان عشرة آلاف ريال نقداً بأحد عشر ألف ريال إلى أجل فهذا حرام ، قال إذن: نحلل هذا الحرام؛ فأبيع عليه أكياساً من الهيل بأحد عشر ألفاً وهي لاتساوي الآن إلا عشرة إلى سنة ، ثم يشتريها هذا المدين ويبيعها على صاحب الدكان ، برغم أن صاحب الدكان لايشتريها منك بمثل مااشتريتها أنت ، فيبيعها لصاحب الدكان بتسعة آلاف وخمسمائة فقط ، فيكون هذا المدين من الجانبين ، فيكون من جهة الذي باع عليه ، ومن جهة صاحب الدكان ، ثم يأخذ المدين الدراهم ويخرج بها وهذا لايعد بيعاً ؛ لأن الذي اشتراها هو الدائن ، ما يُقلِّبُها ولا ينظر مافيها .

وأظن أن صاحب الدكان لو أتى بأكياس من القش ولفها وقال هذا الذي فيها هيل ، أو أتى بأكياس من الرمل ، وقال إن الذي فيها سكر وباعها على الدائن ، وباعها الدائن على المدين ، لأنه مانظر فيها الدائن، ولايُقلِّبُها ، والمدين كذلك لا يُقلِّبُها ولاينظر فيها فترجع إلى صاحب الدكان ، فهذا لايعد بيعاً صحيحاً.

ولكن هذا العمل جامع بين مفسدتين: مفسدة الربا ومفسدة الخداع لله عز وجل وللمؤمنين : ﴿**يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ**﴾ .(١)

فهذه الحيلة والعياذ بالله يسميها بعض العلماء الحيلة الربوية الثلاثية ،

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٩ .

وفيها مفاسد عظيمة .

وأما بيع السيارات ممن كانت عنده لشخص يريد السيارة نفسها بثمن مؤجل لكنه أكثر من الثمن الحاضر فهذا لابأس به وهو جائز بالإجماع، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية .

**مثال ذلك:** أنا أحتاج إلى سيارة، وأتيت إلى شخص صاحب معرض يبيع السيارات على عشرين ألف ، فقلت له : أنا ليس عندي دراهم الآن، بع عليَّ سيارة بخمس وعشرين ألفاً كل شهر خمسمائة ريال ، وقال صاحب الدكان لابأس ، فهذا جائز حتى لو خيره صاحب المعرض ، وقال : هذه السيارة إما بعشرين نقداً ، وإما بخمسة وعشرين مؤجلة ، فقال : آخذها بخمسة وعشرين مؤجلة ، فإن هذا ليس به بأس ، وليس هذا بيع دراهم بدراهم ؛ لأن الذي اشترى السيارة لم تثبت عليه الدراهم مرتين، فالأصل وقع على سلعة بدراهم ، وليس دراهم بدراهم .

بهذا انتهى ما أردنا الكلام عليه حول التوسل والحمد لله رب العالمين[1] .

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين ( ٥ / ٢٨٩ـ ٢٩٢ ) .

# شبهات والجواب عليها

## حول التوسل (١)

(١) نقلت هذا الفصل باختصار من كتاب التوسل أنواعه وأحكامه للمحدث العلامة محمد ناصر الدين الألباني ، وذلك لأهميته وتعلق كثير من الناس بشبهات واهية حتى يجوِّزوا لأنفسهم أنواعاً من التوسل الباطل والممنوع والله المستعان .



## شبهات والجواب عليها

يورد المخالفون في هذا الموضوع [١] بعض الاعتراضات والشبهات، ليدعموا رأيهم الخاطئ، ويوهموا العامة بصحته، ويلبّسوا الأمر عليهم، وأعرض فيما يلي هذه الشبهات واحدة إثر واحدة، وأرد عليها ردًّا علميًّا مقنعاً إن شاء الله، بما يقرر ما بينته في الفصل السابق وينسجم معه، ويقنع كل مخلص منصف، ويدحض كل افتراء علينا بالباطل، وبالله تعالى وحده التوفيق، وهو المستعان.

(١) أي موضوع التوسل.



## الشبهة الأولى
## حديث استسقاء عمر بالعباس رضي الله عنهما

يحتجون على جواز التوسل بجاه الأشخاص وحرمتهم وحقهم بحديث أنس السابق : « أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب ، فقال : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ، فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا ، قال : فيسقون »(١) .

فيفهمون من هذا الحديث أن توسل عمر رضي الله عنه إنما كان بجاه العباس رضي الله عنه ، ومكانته عند الله سبحانه ، وأن توسله كان مجرد ذكرٍ منه للعباس في دعائه ، وطلب منه لله أن يسقيهم من أجله ، وقد أقره الصحابة على ذلك ، فأفاد بزعمهم ما يدّعون . وأما سبب عدول عمر رضي الله عنه عن التوسل بالرسول ﷺ ـ بزعمهم ـ وتوسله بدلاً منه بالعباس رضي الله عنه ، فإنما كان لبيان جواز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل ليس غير .

**وفهمهم هذا الخاطئ ، وتفسيرهم هذا مردود من وجوه كثيرة أهمها:**

١ ـ إن من القواعد المهمة في الشريعة الإسلامية أن النصوص

---

(١) سبق تخريجه ص (٢٧) .

الشرعية يفسر بعضها بعضا ، ولا يُفهم شيء منها في موضوع ما بمعزل عن بقية النصوص الواردة فيه . وبناء على ذلك فحديث توسل عمر السابق إنما يُفْهَمُ على ضوء ما ثَبَتَ من الروايات والأحاديث الواردة في التوسل بعد جمعها وتحقيقها ، ونحن والمخالفون متفقون على أن في كلام عمر : « كُنّا نتوسل إليك بنبينا . . وإنا نتوسل إليك بعم نبينا » شيئاً محذوفاً ، لابد له من تقدير ، وهذا التقدير إما أن يكون : « كنا نتوسل بـ ( جاه ) نبينا ، وإنا نتوسل بـ ( جاه ) عم نبينا » على رأيهم هم ، أو يكون : « كنا نتوسل إليك بـ (دعاء ) نبينا ، وإنا نتوسل إليك بـ ( دعاء ) عم نبينا » على رأينا نحن .

ولابد من الأخذ بواحد من هذين التقديرين ليفهم الكلام بوضوح وجلاء .

ولنعرف أي التقديرين صواب لابد من اللجوء إلى السنة ، لتبين لنا طريقة توسل الصحابة الكرام بالنبي ﷺ .

تُرى هل كانوا إذا أجدبوا وقحطوا قبع كل منهم في داره ، أو في مكان آخر ، أو اجتمعوا دون أن يكون معهم رسول الله ﷺ ، ثم دعوا ربهم قائلين : « اللهم بنبيك محمد ، وحرمته عندك ، ومكانته لديك اسقنا الغيث » . مثلاً ؟ أم كانوا يأتون النبي ﷺ ذاته فعلاً ، ويطلبون منه أن يدعو الله تعالى لهم ؛ فيحقق ﷺ طلبتهم ، ويدعو ربه سبحانه ، ويتضرع إليه حتى يسقوا ؟

**أما الأمر الأول** : فلا وجود له إطلاقاً في السنة النبوية الشريفة ، وفي عمل الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ، ولا يستطيع أحد من الخلفيين أو الطُّرقيين أن يأتي بدليل يثبت أن طريقة توسلهم كانت بأن يذكروا في أدعيتهم اسم النبي ﷺ ، ويطلبوا من الله بحقه وقدره عنده ما يريدون . بل الذي نجده بكثرة وتطفح به كتب السنة هو **الأمر الثاني** ، إذ تبين أن طريقة توسل الأصحاب الكرام بالنبي ﷺ إنما كانت إذا رغبوا في قضاء حاجة ، أو كشف نازلة أن يذهبوا إليه ﷺ ، ويطلبوا منه مباشرة أن يدعو لهم ربه ، أي أنهم كانوا يتوسلون إلى الله تعالى بدعاء الرسول الكريم ﷺ ليس غيره .

ويرشد إلى ذلك قوله تبارك وتعالى : ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا**﴾ [١] .

ومن أمثلة ذلك ما مر معنا في حديث أنس السابق [٢] الذي ذكر فيه مجيء الأعرابي إلى المسجد يوم الجمعة حيث كان رسول الله ﷺ يخطب ، وعرض له ضنك حالهم ، وجدب أرضهم وهلاك ماشيتهم ، وطلبه منه أن يدعو الله سبحانه لينقذهم مما هم فيه ، فاستجاب له ﷺ ، وهو الذي وصفه ربه بقوله : ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** (١٢٨) ﴾ [٣] ، فدعا ﷺ لهم

---

(١) سورة النساء ، الآية : ٦٤ .

(٢) سبق تخريجه ص : (٢٣) .

(٣) سورة التوبة ، الآية : ١٢٨ .

ربــه ، واستجاب سبحانه دعاء نبيه ، ورحم عباده ، ونشر رحمته ، وأحيا بلدهم الميت .

ومن ذلك أيضاً مجيء الأعرابي السابق نفسه أو غيره إلى النبي ﷺ وهو يخطب الجمعة التالية ، وشكواه له انقطاع الطرقات وتهدم البنيان ، وهلاك المواشي ، وطلبه منه أن يدعو لهم ربه ، ليمسك عنهم الأمطار وفعل ﷺ ، استجاب له ربه جل شأنه أيضاً .

ومن ذلك ماروته السيدة عائشة رضي الله عنها ـ حيث قالت : شكا الناس إلى رسول الله ﷺ قحوط المطر ، فأمر بمنبر فوضع له في المصلى ، ووعد الناس يوماً يخرجون فيه . قالت : فخرج رسول الله ﷺ حين بدا حاجب الشمس ، فقعد على المنبر ، فكبر وحمد الله ، ثم قال : « **إنكم شكوتم جدب دياركم ، واستئخار المطر عن إبان زمانه عنكم ، وقد أمركم الله أن تدعوه ، ووعدكم أن يستجيب لكم ..** » الحديث ، [1] وفيه أنه ﷺ دعا الله سبحانه ، وصلى بالناس فأغاثهم الله تعالى حتى سالت السيول ، وانطلقوا إلى بيوتهم مسرعين ، فضحك الرسول ﷺ حتى بدت نواجذه ، وقال : « **أشهد أن الله على كل شيء قدير ، وأني عبد الله ورسوله** » .

فهذه الأحاديث وأمثالها مما وقع في زمن النبي ﷺ وزمن أصحابه

---

(١) رواه أبو داود ( ١١٧٣ ) وقال : هذا حديث غريب ، إسناده جيد وهو كما قال وصححه جمع ، وبيانه في « صحيح أبي داود » (١٠٦٤) .

الكرام رضوان الله عليهم تبين بما لايقبل الجدال أو المماراة أن التوسل بالنبي ﷺ أو بالصالحين الذي كان عليه السلف الصالح هو مجيء المتوسّل إلى المتوسَّل به ، وعرضه حاله له ، وطلبه منه أن يدعو له الله سبحانه ، ليحقق طلبه ، فيستجيب هذا له ، ويستجيب مِن ثمَّ الله سبحانه وتعالى .

٢ ـ وهذا الذي بيناه من معنى الوسيلة هو المعهود في حياة الناس وفي استعمالهم ، فإنه إذا كانت لإنسان حاجة ماعند مدير أو رئيس أو موظف مثلاً ، فإنه يبحث عمن يعرفه ثم يذهب إليه ويكلمه ، ويعرض له حاجته فيفعل ، وينقل هذا الوسيط رغبته إلى الشخص المسؤول ، فيقضيها له غالباً . فهذا هو التوسل المعروف عند العرب منذ القديم ، وما يزال ، فإذا قال أحدهم : إني توسلت إلى فلان بفلان ، فإنما يعني أنه ذهب إلى الثاني وكلمه في حاجته ، ليحدث بها الأول ، ويطلب منه قضاءها ، ولا يفهم أحد من ذلك أنه ذهب إلى الأول وقال له : بحق فلان ( الوسيط ) عندك ، ومنزلته لديك اقض لي حاجتي .

وهكذا فالتوسل إلى الله عز وجل بالرجل الصالح ليس معناه التوسل بذاته وبجاهه وبحقه ، بل هو التوسل بدعائه وتضرعه واستغاثته به سبحانه وتعالى ، وهذا هو بالتالي معنى قول عمر رضي الله عنه : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا . أي : كنا إذا قل المطر مثلا نذهب إلى النبي ﷺ ، ونطلب منه أن يدعو لنا الله جل شأنه .

٣ ـ ويؤكد هذا ويوضحه تمام قول عمر رضي الله عنه : « وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسْقنا » . أي إننا بعد وفاة نبينا جئنا بالعباس عم النبي ﷺ ، وطلبنا منه أن يدعو لنا ربنا سبحانه ليغيثنا .

**ترى لماذا عدل عمر رضي الله عنه عن التوسل بالنبي ﷺ إلى التوسل بالعباس رضي الله عنه ، مع العلم أن العباس مهما كان شأنه ومقامه فإنه لا يذكر أمام شأن النبي ﷺ ومقامه ؟.**

**أما الجواب برأينا فهو** : لأن التوسل بالنبي ﷺ غير ممكن بعد وفاته ، فأنى لهم أن يذهبوا إليه ﷺ ويشرحوا له حالهم ، ويطلبوا منه أن يدعو لهم، ويؤمِّنوا على دعائه ، وهو قد انتقل إلى الرفيق الأعلى ، وأضحى في حال يختلف عن الدنيا وظروفها ، مما لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى ، فأنى لهم أن يحظوا بدعائه ﷺ وشفاعته فيهم ، وبينهم وبينه كما قال الله عز شأنه : ﴿ وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٠٠) ﴾ [1] .

ولذلك لجأ عمر رضي الله عنه ، وهو العربي الأصيل الذي صحب النبي ﷺ ولازمه في أكثر أحواله ،وعرفه حق المعرفة ، وفهم دينه حق الفهم ، ووافقه القرآن في مواضع عدة ، لجأ إلى توسل ممكن فاختار العباس رضي الله عنه ، لقرابته من النبي ﷺ من ناحية ، ولصلاحه ودينه وتقواه من ناحية أخرى ، وطلب منه أن يدعو لهم بالغيث والسقيا ، وما

(١) سورة المؤمنون، الآية : ١٠٠ .

كان لعمر ولا لغير عمر أن يدع التوسل بالنبي ﷺ ، ويلجأ إلى التوسل بالعباس أو غيره لو كان التوسل بالنبي ﷺ ممكناً ، وما كان من المعقول أن يقر الصحابة رضوان الله عليهم عمر على ذلك أبداً ، لأن الانصراف عن التوسل بالنبي ﷺ إلى التوسل بغيره ما هو إلا كالانصراف عن الاقتداء بالنبي ﷺ في الصلاة إلى الاقتداء بغيره ، سواء بسواء ، ذلك أن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم كانوا يعرفون قدر نبيهم ﷺ ومكانته وفضله معرفة لايدانيهم فيها أحد ، كما نرى ذلك واضحاً في الحديث الذي رواه سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ذهب إلى بني عمرو ابن عوف ليصلح بينهم ، فحانت الصلاة ، فجاء المؤذن إلى أبي بكر ، فقال : أتصلي بالناس ، فأقيم ؟ قال : فصلى أبو بكر ، فجاء رسول الله ﷺ والناس في الصلاة ، فتخلص حتى وقف في الصف ، فصفق الناس ، وكان أبو بكر لا يلتفت في الصلاة ، فلما أكثر الناس التصفيق التفت ، فرأى رسول الله ﷺ ، فأشار إليه رسول الله ﷺ أن امكث مكانك ، فرفع أبوبكر يديه ، فحمد الله عز وجل على ما أمره به رسول الله ﷺ من ذلك ، ثم استأخر أبو بكر حتى استوى في الصف ، وتقدم النبي ﷺ فصلى ثم انصرف ، **فقال : يا أبا بكر ، ما منعك أن تثبت إذ أمرتك**؟ قال أبو بكر : ما كان لابن أبي قحافة أن يصلي بين يدي رسول الله ﷺ »[1] .

---

(١) رواه البخاري (٣٧٦ مختصره ) ومسلم ( ٤ : ١٤٥ ـ ١٤٩ بشرح النووي ) .

فأنت ترى أن الصحابة رضي الله عنهم لم يستسيغوا الاستمرار على الاقتداء بأبي بكر رضي الله عنه في صلاته عندما حضر الرسول ﷺ، كما أن أبا بكر رضي الله عنه نفسه لم تطاوعه نفسه على الثبات في مكانه مع أمر النبي ﷺ له بذلك ، لماذا ؟ كل ذلك لتعظيمهم نبيهم ﷺ ، وتأدبهم معه ، ومعرفتهم حقه وفضله ، فإذا كان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم لم يرتضوا الاقتداء بغير النبي ﷺ عندما أمكن ذلك ، مع أنهم كانوا بدؤوا الصلاة في حال غيابه ﷺ عنهم ، فكيف يتركون التوسل به ﷺ أيضاً بعد وفاته ولو كان ذلك ممكناً ، ويلجؤون إلى التوسل بغيره ؟ وكما لم يقبل أبو بكر أن يؤم المسلمين فمن البدهي أن لا يقبل العباس أيضاً أن يتوسل الناس به ، ويَدَعُوا التوسل بالنبي ﷺ لو كان ذلك ممكناً .

ثم إن تعليلهم لعدول عمر رضي الله تعالى عنه عن التوسل بالنبي ﷺ إلى التوسل بالعباس رضي الله عنه لبيان جواز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل هو تعليل مضحك وعجيب ، إذ كيف يمكن أن يخطر في بال عمر رضي اللّه عنه ، أو في بال غيره من الصحابة الكرام رضي الله عنهم تلك الحذلقة الفقهية المتأخرة ، وهو يرى الناس في حالة شديدة من الضنك والكرب ، والشقاء والبؤس يكادون يموتون جوعاً وعطشاً لشح الماء ، وهلاك الماشية ، وخلو الأرض من الزرع والخضرة حتى سُمي ذاك العام بـ « عام الرمادة » ، كيف يرد في خاطره تلك الفلسفة الفقهية في هذا الظرف العصيب ، فيدع الأخذ بالوسيلة الكبرى في دعائه، وهي التوسل

بالنبي الأعظم ﷺ ، لو كان ذلك جائزاً ويأخذ بالوسيلة الصغري ، التي لا تقارن بالأولى وهي التوسل بالعباس ، لماذا ؟ لا لشيء إلا ليبين للناس أنه يجوز لهم التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل ! !

إن المشاهد والمعلوم أن الإنسان إذا حلّت به شدة يلجأ إلى أقوى وسيلة عنده في دفعها ، ويدع الوسائل الأخرى لأقوات الرخاء ، وهذا كان يفهمه الجاهليون المشركون أنفسهم ، إذا كانوا يدعون أصنامهم في أوقات اليسر ، ويركونها ويدعون الله تعالى وحده في أوقات العسر ، كما قال تبارك وتعالى : ﴿ **فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ** (٦٥) ﴾ (١) .

فتعلم من هذا أن الإنسان بفطرته يستنجد بالقوة العظمى ، والوسيلة الكبرى حين الشدائد والفواقر ، وقد يلجأ إلى الوسائل الصغرى حين الأمن واليسر ، وقد يخطر في باله حينذاك أن يبين ذلك الحكم الفقهي الذي افترضوه ، وهو جواز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل . وأمر آخر نقوله جواباً على شبهة أولئك ، وهو : هب أن عمر رضي الله عنه خطر في باله أن يبين ذلك الحكم الفقهي المزعوم ، ترى فهل خطر ذلك في بال معاوية والضحاك بن قيس حين توسلا بالتابعي الجليل : يزيد بن الأسود الجرشي أيضاً ؟ لا شك أن هذا ضرب من التمحل والتكلف لا

---

(١) سورة العنكبوت، الآية : ٦٥ . والفلك : السفن .

يحسدون عليه .

٤ ـ إننا نلاحظ في حديث استسقاء عمر بالعباس رضي الله عنهما أمراً جديراً بالانتباه ، وهو قوله : « إن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب » وفي هذا إشارة إلى تكرر استسقاء عمر بدعاء العباس رضي الله عنهما ، ففيه حجة بالغة على الذين يتأولون فعل عمر ذلك بأنه إنّما ترك التوسل به ﷺ إلى التوسل بعمه رضي الله عنه ، لبيان جواز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل ، فإننا نقول : لو كان الأمر كذلك لفعل عمر ذلك كمرة واحدة ، ولما استمر عليه كما استسقى وهذا بيّن لا يخفى إن شاء الله تعالى على أهل العلم والإنصاف .

٥ ـ لقد فَسَّرَت بعض روايات الحديث الصحيحة كلام عمر المذكور وقصده إذا نقلت دعاد العباس رضي الله عنه استجابة لطلب عمر رضي الله عنه ، فمن ذلك ما نقله الحافظ العسقلاني رحمه الله في الفتح ( ٣ : ١٥ ) حيث قال : قد بين الزبير بن بكار في « الأنساب» صفة ما دعا به العباس في هذه الواقعة ، والوقت الذي وقع فيه ذلك ، فأخرج بإسناد له أن العباس لما استسقى به عمر قال : « اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب ، ولم يكشف إلا بتوبة ، وقد توجّه القوم بي إليك لمكاني من نبيك ، وهذه أيدينا إليك بالذنوب ، ونواصينا إليك بالتوبة ، فاسقنا الغيث » ، قال : فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخصبت الأرض ، وعاش الناس »[1] .

---

(١) سبق تخريجه ص : ( ٢٧ ) .

**وفي هذا الحديث :**

**أولاً** : التوسل بدعاء العباس رضي الله عنه لا بذاته كما بينه الزبير بن بكار وغيره ، وف هذا رد واضح على الذين يزعمون أن توسل عمر كان بذات العباس لا بدعائه ، إذ لو كان الأمر كذلك لما كان ثمة حاجة ليقوم العباس ، فيدعو بعد عمر دعاءً جديداً .

**ثانياً** : إن عمر صرح أنهم كانوا يتوسلون بنَبِيِّنَا ﷺ في حياته، وأنه في هذه الحادثة توسل بعمه العباس ، ومما لا شك فيه أن التوسلين من نوع واحد : توسلهم بالرسول ﷺ وتوسلهم بالعباس ، وإذا تبين للقارئ ـ مما يأتي ـ أن توسلهم به ﷺ إنما كان توسلاً بدعائه ﷺ فتكون النتيجة أن توسلهم بالعباس إنما تسول بدعائه أيضاً ، بضرورة أن التوسلين من نوع واحد .

أما أن توسلهم به ﷺ إنما كان توسلاً بدعائه ، فالدليل على ذلك صريح رواية الإسماعيلي في مستخرجه على الصحيح لهذا الحديث بلفظ : « كانوا إذا قحطوا على عهد النبي ﷺ استسقوا به ، فيستسقي لهم ، فيسقون ، فلما كان في إمارة عمر . . . » فذكر الحديث ، نقلته من( الفتح ٢ : ٣٩٩ ) فقوله : « فيستسقي لهم » صريح في أنه ﷺ كان يطلب لهم السقيا من الله تعالى ، ففي « النهاية » لابن الأثير ( ٢ : ٣٨١ ) : «الاستسقاء استفعال من طلب السقيا أي إنزال الغيث على البلاد والعباد ، يقال : سقى الله عباده الغيث وأسقاهم ، والاسم السُّقيا بالضم ،

واستسقيتَ فلاناً إذا طلبتَ منه أن يسقيك » .

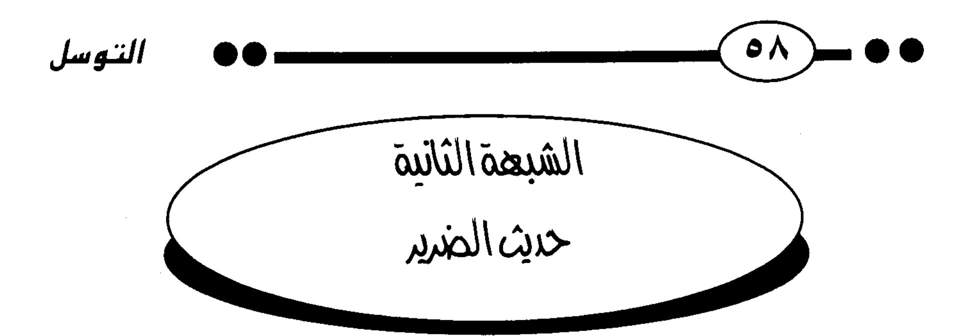
إذا تبين هذا ، فقوله في هذه الرواية : « استسقوا به » أي بدعائه ، وكذلك قوله في الرواية الأولى : « كنا نتوسل إليك بنبينا » أي بدعائه ، لا يمكن أن يفهم من مجموع روايات الحديث إلا هذا ويؤيده .

**ثالثاً** : لو كان توسل عمر إنما هو بذات العباس أوْجاهه عند الله تعالى ، لما ترك عمر التوسل به ﷺ بهذا المعنى ، لأن هذا ممكن لو كان مشروعاً ، فعدول عمر عن هذا إلى التوسل بدعاء العباس رضي الله عنه أكبر دليل على أن عمر والصحابة الذين كانوا معه كانوا لا يرون التوسل بذاته ﷺ ، وعلى هذا جرى عمل السلف من بعدهم ، كما رأيت في توسل معاوية بن أبي سفيان والضحاك ابن قيس بيزيد بن الأسود الجرشي وفيهما بيان دعائه بصراحة وجلاء .

فهل يجوز أن يُجمع هؤلاء كلهم على ترك التوسل بذاته ﷺ لو كان جائزاً ، سيما والمخالفون يزعمون أنه أفضل من التوسل بدعاء العباس وغيره ؟ اللهم إن ذلك غير جائز ولامعقول ، بل إن هذا الإجماع منهم من أكبر الأدلة على أن التوسل المذكور غير مشروع عندهم ، فإنهم أسمى من أن يستبدلوا الذي هوأدنى بالذي هو خير !! .

والحق أقول : إن جريان عمل الصحابة على ترك التوسل بذاته ﷺ عند نزول الشدائد بهم ـ بعد أن كانوا لا يتوسلون بغيره ﷺ في حياته ـ لهو

من أكبر الأدلة الواضحة على أن التوسل بذاته ﷺ غير مشروع ، وإلا لنقل ذلك عنهم من طرق كثيرة في حوادث متعددة ، ألا ترى إلى هؤلاء المخالفين كيف يلهجون بالتوسل بذاته ﷺ لأدنى مناسبة لظنهم أنه مشروع ، فلو كان الأمر كذلك لنُقل مثله عن الصحابة ، مع العلم أنهم أشد تعظيماً ومحبة له ﷺ من هؤلاء ، فكيف ولم يُنقل عنهم ذلك ولا مرة واحدة ، بل صح عنهم الرغبة عنه إلى التوسل بدعاء الصالحين ؟!



## الشبهة الثانية
## حديث الضرير

بعد أن فرغنا من تحقيق الكلام في حديث توسل عمر بالعباس رضي الله عنه ، وبيَّنا أنه ليس حجة للمخالفين بل هو عليهم ، نشرع الآن في تحقيق القول في حديث الضرير ، والنظر في معناه : هل هو حجة لهم أم عليهم أيضاً ؟ فنقول :

أخرج أحمد وغيره بسند صحيح عن عثمان بن حنيف أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي ﷺ ، فقال : ادع الله أن يعافيني . قال : « **إن شئت دعوت لك، وإن شئت أخَّرْت ذاك ، فهو خير** » وفي رواية : « **وإن شئت صبرت فهو خير لك** » ، فقال : ادعه . فأمره أن يتوضأ ، فيحسن وضوءه ، فيصلي ركعتين ، ويدعو بهذا الدعاء : « اللهم إني أسألك ، وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة ، يا محمد إني توجهت بك إلى ربك في حاجتي هذه ، فتقضى لي ، اللهم فشفِّعه في [ وشفِّعني فيه ] . » قال : ففعل الرجل ، فبرأ [1] .

---

(١) أخرجه في المسند ( ٤ : ١٣٨ ) ، ورواه الترمذي ( ٤ : ٢٨١ ـ ٢٨٢ بشرح التحفة ) وابن ماجة ( ١ : ٤١٨ ) والطبراني في الكبير ( ٣ / ٢ / ٢ ) ، والحاكم ( ١ : ٣١٣ ) كلهم من طريق عثمان بن عمر ( شيخ أحمد فيه ) : أنا شعبة عن أبي جعفر المدني قال : سمعت عمرة بن خزيمة يحدث عن عثمان به ، وقال الترمذي : « حسن صحيح غريب » وفي =

**يرى المخالفون** : أن هذا الحديث يدل على جواز التوسل في الدعاء بجاه النبي ﷺ أو غيره من الصالحين ، إذ فيه أن النبي ﷺ علّم الأعمى أن يتوسل به في دعائه ، وقد فعل الأعمى ذلك فعاد بصيراً .

وأما نحن فنرى أن هذا الحديث لا حجة لهم فيه على التوسل المختلف فيه ، وهو التوسل بالذات ، بل هو دليل آخر على النوع الثالث من أنواع التوسل المشروع الذي أسلفناه ؛ لأن توسل الأعمى إنما كان بدعائه ، والأدلة على ما نقول من الحديث نفسه كثيرة ، وأهمها :

**أولاً** : أن الأعمى إنما جاء إلى النبي ﷺ ليدعو له ، وذلك قوله : «ادع الله أن يعافيني » ، فهو قد توسل إلى الله تعالى بدعائه ﷺ ؛ لأنه يعلم

---

= ابن ماجة عقبه « قال أبو إسحاق : حديث صحيح » ثم رواه أحمد : ثنا شعبة به ، وفيه الرواية الأخرى ، وتابعه محمد بن جعفر ثنا شعبة به . رواه الحاكم ( ١ : ٥١٩ ) وقال : «صحيح الإسناد» ووافقه الذهبي ، وقد أعله بعضهم كصاحب « صيانة الإنسان» وصاحب « تطهير الجنان ص ٤٠ » وغيرهما بأن في إسناده أبا جعفر ، قال الترمذي : «لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبي جعفر ، وليس الخطمي » فقالوا : هو إذن الرازي ، وهو صدوق ولكنه سيئ الحفظ .

قلت : ولكن هذا مدفوع بأن الصواب أنه الخطمي نفسه . وهكذا نسبه أحمد في رواية له ( ٤ : ١٣٨ ) ، وسماه في أخرى : « أبا جعفر المدني » وكذلك سماه الحاكم . والخطمي هذا لا الرازي هو المدني . وقد ورد هكذا في « المعجم الصغير » للطبراني ، وفي طبعة بولاق من سنن الترمذي أيضاً . ويؤكد ذلك بشكل قاطع أن الخطمي هذا هو الذي يروي عن عمارة بن خزيمة ويروي عنه شعبة كما في إسناده هنا ، وهو صدوق ، وعلى هذا فالإسناد جيد لا شبهة فيه .

أن دعاءه ﷺ أرجى للقبول عند الله بخلاف دعاء غيره ، ولو كان قصد الأعمى التوسل بذات النبي ﷺ أو جاهه أو حقه لما كان ثمة حاجة به إلى أن يأتي النبي ﷺ ، ويطلب منه الدعاء له ، بل كان يقعد في بيته ، ويدعو ربه بأن يقول مثلاً : « اللهم إني أسألك بجاه نبيك ومنزلته عندك أن تشفيني ، وتجعلني بصيراً » . ولكنه لم يفعل ، لماذا ؟ لأنه عربي يفهم معنى التوسل في لغة العرب حق الفهم ، ويعرف أنه ليس كلمة يقولها صاحب الحاجة ، يذكر فيها اسم المتوسَّل به ، بل لابد أن يشتمل على المجيء إلى من يعتقد فيه الصلاح والعلم بالكتاب والسنة ، وطلب الدعاء منه له .

**ثانياً** : أن النبي ﷺ وعده بالدعاء مع نصحه له ببيان ماهو الأفضل له ، وهو قوله ﷺ : « **إن شئتَ دعوتُ ، وإن شئتَ صبرتَ فهو خير لك** » . وهذا الأمر الثاني هو ما أشار إليه ﷺ في الحديث الذي رواه عن ربه تبارك وتعالى أنه قال : « **إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه ـ أي عينيه ـ فصبر ، عوضته منهما الجنة** »[1] .

**ثالثاً** : إصرار الأعمى على الدعاء وهو قوله : « فادع » فهذا يقتضي أن الرسول ﷺ دعا له ، لأنه ﷺ خير من وفى بما وعد ، وقد وعده بالدعاء له إن شاء كما سبق ، فقد شاء الدعاء وأصر عليه ، فإذن لابد أنه ﷺ دعا له ، فثبت المراد ، وقد وجّه النبي ﷺ الأعمى بدافع من رحمته ، وبحرص

---

(١) رواه البخاري عن أنس ، وهو مخرج في « الصحيحة » (٢٠١٠) .

منه على أن يستجيب الله تعالى دعاءه فيه ، وجَّهَه إلى النوع الثاني من التوسل المشروع ، وهو التوسل بالعمل الصالح ، ليجمع له الخير من أطرافه ، فأمره أن يتوضأ ويصلي ركعتين ثم يدعو لنفسه ، وهذه الأعمال طاعة لله سبحانه وتعالى يقدمها بين يدي دعاء النبي ﷺ له ، وهي تدخل في قوله تعالى : ﴿ **وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الوَسِيْلَةَ** ﴾ كما سبق .

وهكذا فلم يكتف الرسول ﷺ بدعائه للأعمى الذي وعده به ، بل شغله بأعمال فيها طاعة لله سبحانه وتعالى وقربة إليه ؛ ليكون الأمر مكتملاً من جميع نواحيه ، وأقرب إلى القبول والرضا من الله سبحانه وتعالى ، وعلى هذا فالحادثة كلها تدور حول الدعاء ـ كما هو ظاهر ـ وليس فيها ذكر شيء مما يزعمون .

وقد غفل عن هذا الشيخ الغماري أو تغافل ، فقال في ( المصباح ـ ٢٤ ) : « وإن شئت دعوت : أي وإن شئت علمتك دعاء تدعو به ، ولقنتك إياه ، وهذا التأويل واجب ليتفق أول الحديث مع آخره » .

**قلت** : هذا التأويل باطل لوجوه كثيرة منها : أن الأعمى إنما طلب منه ﷺ أن يدعو له ، لا أن يعلمه دعاء ، فإذا كان قوله ﷺ له : « وإن شئت دعوت » جواباً على طلبه تعيَّن أنه الدعاء له ، ولابد ، وهذا المعنى هو الذي يتفق مع آخر الحديث ، ولذلك رأينا الغماري لم يتعرض لتفسير قوله في آخره : « اللهم فشفعه في ، وشفعني فيه » ؛ لأنه صريح في أن التوسل

كان بدعائه ﷺ كما بيناه فيما سلف .

ثم قال : « ثم لو سلمنا أن النبي ﷺ دعا للضرير فذلك لا يمنع من تعميم الحديث في غيره » ، قلت : وهذه مغالطة مكشوفة ؛ لأنه لا أحد ينكر تعميم الحديث في غير الأعمى في حالة دعائه ﷺ لغيره ، ولكن لما كان الدعاء منه ﷺ بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى غير معلوم بالنسبة للمتوسلين في شتى الحوائج والرغبات ، وكانوا هم أنفسهم لا يتوسلون بدعائه ﷺ بعد وفاته ، لذلك اختلف الحكم ، وكان هذا التسليم من الغماري حجة عليه .

**رابعاً** : إن في الدعاء الذي علمه رسول الله ﷺ إياه أن يقول : «اللهم فَشَفِّعْهُ في »[1] ، وهذا يستحيل حمله على التوسل بذاته ﷺ ؛ أو جاهه ، أو حقه ، إذ أن المعنى : اللهم اقبل شفاعته ﷺ في ، أي اقبل دعاءه في أن ترد علي بصري ، والشفاعة لغةً الدعاء ، وهو المراد بالشفاعة الثابتة له ﷺ ولغيره من الأنبياء والصالحين يوم القيامة ، وهذا يبين أن الشفاعة أخص من الدعاء ، إذ لا تكون إلا إذا كان هناك اثنان يطلبان أمراً ، فيكون أحدهما شفيعاً للآخر ، بخلاف الطالب الواحد الذي لم يشفع غيره . قال في « لسان العرب » ( ٨ : ١٨٤ ) :

---

(١) هذه الجملة هي عند أحمد والحاكم وغيرهما ، وإسنادها صحيح .

« والشفاعة كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها لغيره ، والشافع الطالب لغيره ، يتشفع به إلى المطلوب ، يقال تشفعت بفلان إلى فلان ، فشفعني فيه » .

فثبت بهذا الوجه أيضاً أن توسل الأعمى إنما كان بدعائه ﷺ لا بذاته .

**خامساً** : إن مما عَلَّم النبي ﷺ الأعمى أن يقوله : « وشفعني فيه »(١) أي اقبل شفاعتي ، أي دعائي في أن تقبل شفاعته ﷺ ، أي دعاءه في أن ترد علي بصري ، هذا المعنى لا يمكن أن يُفهم من هذه الجملة سواه .

ولهذا ترى المخالفين يتجاهلونها ولا يتعرضون لها من قريب أو من بعيد ؛ لأنها تنسف بنيانهم من القواعد ، وتجتثه من الجذور ، وإذا سمعوها رأيتهم ينظرون إليك نظر المغشي عليه . ذلك أن شفاعة الرسول ﷺ كيف تكون ؟ لا جواب لذلك عندهم البتة . ومما يدل على شعورهم بأن هذه الجملة تبطل تأويلاتهم أنك لا ترى واحداً منهم يستعملها ، فيقول في دعائه مثلا : اللهم شفع فيَّ نبيك ، وشفعني فيه .

---

(١) هذه الجملة صحت في الحديث ، أخرجها أحمد والحاكم وصححه ووافقه الذهبي ، وهي وحدها قاطعة على أن حمل الحديث على التوسل بالذات باطل ، كما ذهب إليه بعض المؤلفين حديثاً ، والظاهر أنهم علموا ذلك ، ولهذا لم يوردوا هذه الجملة مطلقاً ، الأمر الذي يدل على مبلغ أمانتهم في النقل . وقريب من هذا أنهم أوردا الجملة التي قبلها « اللهم فشفعه في » من الأدلة على التوسل بالذات ، وأما توضيح دلالتها على ذلك فمما لم يتفضلوا به على القراء ، ذلك لأن فاقد الشيء لا يعطيه ! .

**سادساً** : إن هذا الحديث ذكره العلماء في معجزات النبي ﷺ ودعائه المستجاب ، وما أظهر الله ببركة دعائه من الخوارق والإبراء من العاهات ، فإنه بدعائه ﷺ لهذا الأعمى أعاد الله عليه بصره ، ولذلك رواه المصنفون في « دلائل النبوة» كالبيهقي وغيره ، فهذا يدل على أن السر في شفاء الأعمى إنما هو دعاء النبي ﷺ ويؤيده أنه لو كان السر في دعاء الأعمى وحده دون دعائه ﷺ لكان كل من دعا به من العميان مخلصاً إليه تعالى ، منيباً إليه قد عُوفِيَ ، بل على الأقل لعوفي واحد منهم ، وهذا ما لم يكن فعله ولعله لا يكون أبداً .

كما أنه لو كان السر في شفاء الأعمى أنه توسل بجاه النبي ﷺ وقدره وحقه ، كما يفهم عامة المتأخرين ، لكان من المفروض أن يحصل هذا الشفاء لغيره من العميان الذين يتوسلون بجاهه ﷺ ، بل ويضمون إليه أحياناً جاه جميع الأنبياء المرسلين ، وكل الأولياء والشهداء والصالحين ، وجاه كل من له جاه عند الله من الملائكة ، والإنس والجن أجمعين ! ولم نعلم ولا نظن أحداً قد علم حصول مثل هذا خلال هذه القرون الطويلة بعد وفاته ﷺ إلى اليوم .

إذا تبين لقاريء الكريم ما أوردناه من الوجوه الدالة على أن حديث الأعمى إنما يدور حول التوسل بدعائه ﷺ ، وأنه لا علاقة له بالتوسل بالذات ، حينئذ يتبين له أن قول الأعمى في دعائه : «اللهم إني أسألك ،

وأتوسل إليك بنبيك محمد ﷺ » إنما المراد به : أتوسل إليك بدعاء نبيك ، أي على حذف المضاف ، وهذا أمر معروف في اللغة ، كقوله تعالى : ﴿واسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [1] أي أهل القرية وأصحاب العير . ونحن ومخالفونا متفقون على ذلك ، أي على تقدير مضاف محذوف ، وهو مثل ما رأينا في دعاء عمر وتوسله بالعباس ، فإما أن يكون التقدير : إني أتوجه إليك بـ ( جاه ) نبيك ، ويا محمد إني توجهت بـ ( ذاتـ ) ـك أو ( مكانتـ ) ـك إلى ربي كما يزعمون ، وإما أن يكون التقدير : إني أتوجه إليك بـ ( دعاء ) نبيك ، ويامحمد إني توجهت بـ ( دعائـ ) ـك إلى ربي كما هو قولنا . ولابد لترجيح أحد التقديرين من دليل يدل عليه . فأما تقديرهم بـ « جاهه » فليس لهم عليه دليل لامن هذا الحديث ولا من غير ، إذ ليس في سياق الكلام ولا سياقه تصريح أو إشارة لذكر الجاه أو ما يدل عليه إطلاقاً ، كما أنه ليس عندهم شيء من القرآن أو من السنة أو من فعل الصحابة يدل على التوسل بالجاه ، فبقي تقديرهم من غير مرجح ، فسقط من الاعتبار ، والحمد لله .

أما تقديرنا فيقوم عليه أدلة كثيرة ، تقدمت في الوجوه السابقة .

وثمة أمر جدير بالذكر ؛ وهو أنه لو حُمِلَ حديث الضرير على ظاهره ، وهو التوسل بالذات لكان معطلاً لقوله فيما بعد : « اللهم فشفعه

---

(١) سورة يوسف ، الآية : ٨٢ .

في ، وشفعني فيه » ، وهذا لا يجوز كما لا يخفى ، فوجب التوفيق بين هذه الجملة والتي قبلها . وليس ذلك إلا على ما حملناه من أن التوسل كان بالدعاء ، فثبت المراد ، وبطل الاستدلال به على التوسل به بالذات ، والحمد لله .

على أنني أقول : لو صح أن الأعمى إنما توسل بذاته ﷺ ، فيكون حكماً خاصاً به ﷺ ، لا يشاركه فيه غيره من الأنبياء والصالحين ، وإلحاقهم به مما لا يقبله النظر الصحيح ، لأنه ﷺ سيدهم وأفضلهم جميعاً ، فيمكن أن يكون هذا مما خصه الله به عليهم ككثير مما صح به الخبر وباب الخصوصيات لاتدخل فيه القياسات ، فمن رأى أن توسل الأعمى كان بذاته ﷺ ، فعليه أن يقف عنده ، ولا يزيد عليه كما نقل عن الإمام أحمد والشيخ العز بن عبد السلام رحمهما الله تعالى . هذا هو الذي يقتضيه البحث العلمي مع الإنصاف ، والله الموفق للصواب .

## الشبهة الثالثة
## قياس الخالق على المخلوقين

يقول المخالفون : إن التوسل بذوات الصالحين وأقدارهم أمر مطلوب وجائز ؛ لأنه مبني على منطق الواقع ومتطلباته ، ذلك أن أحدنا إذا كانت له حاجة عند ملك أو وزير أو مسؤول كبير فهو لا يذهب إليه مباشرة ، لأنه يشعر أنه ربما لا يلتفت إليه ، هذا إذا لم يرده أصلاً ، ولذلك كان من الطبيعي إذا أردنا حاجة من كبير فإننا نبحث عمن يعرفه ، ويكون مقرباً إليه أثيراً عنده ، ونجعله واسطة بيننا وبينه ، فإذا فعلنا ذلك استجاب لنا ، وقُضيَت حاجتنا ، وهكذا الأمر نفسه في علاقتنا بالله سبحانه ـ بزعمهم ـ فالله عز وجل عظيم العظماء ، وكبير الكبراء ، ونحن مذنبون عصاة ، وبعيدون لذلك عن جناب الله ، ليس من اللائق بنا أن ندعوه مباشرة ، لأننا إن فعلنا ذلك خفنا أن يردنا على أعقابنا خائبين ، أو لا يلتفت إلينا فنرجع بخفي حنين ، وهناك ناس صالحون كالأنبياء والرسل والشهداء قريبون إليه سبحانه ، يستجيب لهم إذا دعوه ، ويقبل شفاعتهم إذا شفعوا لديه ، أفلا يكون الأولى بنا والأحرى أن نتوسل إليه بجاههم ، ونقدم بين يدي دعائنا ذكرهم ، عسى أن ينظر الله تعالى إلينا إكراماً لهم ،

ويجيب دعاءنا مراعاة لخاطرهم ، فلماذا تمنعون هذا النوع من التوسل ، والبشر يستعملونه فيما بينهم ، فلم لا يستعملونه مع ربهم ومعبودهم» .

ونقول جواباً على هذه الشبهة : إنكم يا هؤلاء إذن تقيسون الخالق على المخلوق ، وتشبهون قيوم السماوات والأرض ، أحكم الحاكمين ، وأعدل العادلين ، الرؤوف الرحيم بأولئك الحكام الظالمين ، والمتسلطين المتجبرين الذين لا يأبهون لمصالح الرعية ، ويجعلون بينهم وبين الرعية حجباً وأستاراً ، فلا يمكنها أن تصل إليهم إلا بوسائط ووسائل ، ترضي هذه الوسائط بالرشاوي والهبات ، وتخضع لها وتتذلل ، ووترضاها وتتقرب إليها ، فهل خطر ببالكم أيها المساكين أنكم حين تفعلون ذلك تذمون ربكم ، وتطعنون به ، وتؤذونه ، وتصفونه بما يمقته وما يكرهه ؟

هل خطر ببالكم أنكم تصفون الله تعالى بأبشع الصفات حين تقيسونه ، على الحكام الظلمة ، والمتسلطين الفجرة ؟ فكيف يُسَوِّغُ هذا لكم دينكم؟ وكيف يتفق هذا مع ما يجب عليكم من تعظيمكم لربكم ، وتمجيدكم لخالقكم ؟

ترى لو كان يمكن لأحد الناس أن يخاطب الحاكم وجهاً لوجه ، ويكلمه دون واسطة أو حجاب أيكون ذلك أكمل وأمدح له ، أم حين يتمكن من مخاطبته إلا من خلال وسائط قد تطول وقد تقصر ؟

ياهؤلاء إنكم تفخرون في أحاديثكم بعمر بن الخطاب رضي الله عنه

وتمجدونه وتشيدون به وتُبيِّنون للناس أنه كان متواضعاً لا يتكبر ولا يتجبر ، وكان قريباً من الناس يتمكن أضعفهم من لقائه ومخاطبته ، وأنه كان يأتيه الأعرابي الجاهل الفظ من البادية ، فيكلمه دون واسطة أو حجاب ، فينظر في حاجته ، ويقضيها له إن كانت حقًّا . ترى هل هذا النوع من الحكام خَيْرٌ وأفضل أم ذاك النوع الذي تضربون لربكم به الأمثال ؟

فما لكم كيف تحكمون ؟ وما لعقولكم أين ذهبت ؟ وما لتفكيركم أين غاب ؟ وكيف ساغ لكم تشبيه الله تعالى بالملك الظالم ؟ أم كيف غطى عنكم الشيطان بشاعة قياس الله سبحانه على الأمير الغاشم ؟

ياهؤلاء إنكم لو شبهتهم الله تعالى بأعدل الناس وأتقى الناس ، وأصلح الناس لكفرتم ، فكيف وقد شبهتموه سبحانه بأظلم الناس ، وأفجر الناس ، وأخبث الناس ؟

ياهؤلاء إنكم لو قستم ربكم الجليل على عمر بن الخطاب التقي العادل لوقعتم في الشرك ، فكيف تَرَدَّى بكم الشيطان ، فلم ترضوا بذلك حتى أوقعكم في قياس ربكم على أهل الجور والفساد من الملوك والأمراء والوزراء ؟

إن تشبيه الله تعالى بخلقه كفر كله حذر منه الله سبحانه حيث قال :
**﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ شَيْئًا وَلا**

يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ (١) كما نفى سبحانه أي مشابهة بينه وبين أي خلق من مخلوقاته فقال : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ (٢) ، ولكن شر تشبيه أن يشبهه المرء بالأشرار والفجار والفساق من الولاة ، وهو يظن أنه يحسن صنعاً ! إن هذا هو الذي يحمل بعض العلماء والمحققين على المبالغة في إنكار التوسل بذوات الأنبياء ، واعتباره شركاً ، وإن كان هو في نفسه ليس شركاً عندنا ، بل يخشى أن يؤدي إلى الشرك ، وقد أدَّى فعلا بأولئك الذين يعتذرون لتوسلهم بذلك التشبيه السابق الذي هو الكفر بعينه لو كانوا يعلمون .

ومن هنا يتبين أن قول بعض الدعاة الإسلاميين اليوم في الأصل الخامس عشر من أصوله العشرين : « والدعاء إذا قُرن بالتوسل إلى الله بأحد من خلقه خلاف فرعي في كيفية الدعاء ، وليس من مسائل العقيدة » ليس صحيحاً على إطلاقه ، لما علمت أن في الواقع ما يشهد بأنه خلاف جوهري ، إذ فيه شرك صريح كما سبق . ولعل مثل هذا القول الذي يُهوِّن من أمر هذا الانحراف هو أحد الأسباب التي تدفع بالكثيرين إلى عدم البحث فيه ، وتحقيق الصواب في أمره ، مما يؤدي في نهاية المطاف إلى

---

(١) سورة النحل ، الآيتان : ٧٣ ـ ٧٤ . قال الحافظ ابن كثير : « أي لا تجعلوا لله أنداداً وأشباهاً وأمثالاً » .

(٢) سورة الشورى ، الآية : ١١ .

استمرار المبتدعين في بدعهم ، واستفحال خطرها بينهم . ولذلك قال الإمام العز بن عبد السلام في رسالة « الواسطة» (ص ٥ ) : « وَمَنْ أَثْبَتَ الأنبياء وسواهم من مشايخ العلم والدين وسائط بين الله وبين خلقه كالحُجَّاب الذين بين الملك ورعيته ، بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله تعالى حوائج خلقه ، وأنَّ الله تعالى إنما يهدي عباده ويرزقهم وينصرهم بتوسطهم ، بمعنى أن الخلق يسألونهم ، وهم يسألون الله كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملك حوائج الناس لقربهم منهم ، والناس يسألونهم أدباً منهم أن يباشروا سؤال الملك ، ولأن طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك ، لكونهم أقرب إلى الملك من الطالب ، فمن أَثْبَتَهُمْ وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب أن يستتاب ، فإن تاب وإلا قتل ، وهؤلاء مشبِّهون لله ، شبهوا الخالق بالمخلوق ، وجعلوا لله أنداداً . . » .

## الشبهة الرابعة
## هل هناك مانع من التوسل المبتدع على وجه الإباحة لا الاستحباب ؟

**قد يقول القائل** : صحيح أنه لم يثبت في السنة مايدل على استحباب التوسل بذوات الأنبياء والصالحين ، ولكن ما المانع منه إذا فعلناه على طريق الإباحة ، لأنه لم يأت نهي عنه ؟

**فأقول** : هذه شبهة طالما سمعناها ممن يريد أن يتخذ موقفاً وسطاً بين الفريقين لكي يرضي كلا منهما ، وينجو من حملاتهما عليه ! .

**والجواب** : يجب أن لا ننسى في هذا المقام معنى الوسيلة إذ هي التي يُتوصل بها إلى تحصيل المقصود .

ولايخفى أن الذي يراد التوصل إليه إما أن يكون دينيًا ، أو دنيويًا ، وعلى الأول لا يمكن معرفة الوسيلة التي تُوصل إلى الأمر الديني إلا من طريق شرعي ، فلو ادعى رجل أن توسله إلى الله تعالى بآية من آياته الكونية العظيمة كالليل والنهار مثلاً سبب لاستجابة الدعاء لرُدَّ عليه ذلك إلا أن يأتي بدليل ، ولا يمكن أن يقال حينئذ بإباحة هذا التوسل ، لأنه كلام ينقض بعضه بعضاً ، إذ أنك تسميه توسلاً ، وهذا لم يثبت شرعاً ، وليس له طريق آخر في إثباته ، وهذا بخلاف القسم الثاني من القسمين المذكورين وهو الدنيوي ، فإن أسبابه يمكن أن تعرف بالعقل أو بالعلم أو بالتجربة

ونحو ذلك ، مثل الرجل يتاجر ببيع الخمر ، فهذا سبب معروف للحصول على المال ، فهو وسيلة لتحقيق المقصود وهو المال ، ولكن هذه الوسيلة نهى الله عنها ، فلا يجوز اتباعها ، بخلاف ما لو تاجر بسبب لم يحرمه الله عز وجل ، فهو مباح ، أما السبب المدعى أنه يقرب إلى الله وأنه أرجى في قبول الدعاء ، فهذا سبب لا يُعرف إلا بطريق الشرع ، فحين يقال : بأن الشرع لم يرد بذلك ، لم يجز تسميته وسيلة حتى يمكن أن يقال إنه مباح التوسل به ، وقد تقدم الكلام في هذا النوع مفصلاً في التفصل الثاني من هذه الرسالة .

**وشيء ثان** : وهو أن هذا التوسل الذي سَلَّمنا بعدم وروده قد جاء في الشرع ما يغني عنه ، وهو التوسلات الثلاثة التي سبق ذكرها في أول البحث ، فماالذي يحمل المسلم على اختيار هذا التوسل الذي لم يرد ، والإعراض عن التوسل الذي ورد ؟ وقد اتفق العلماء على أن البدعة إذا صادمت سنة فهي بدعة ضلالة اتفاقاً ، وهذا التوسل من هذا القبيل ، فلم يجز التوسل به ، ولو على طريق الإباحة دون الاستحباب !

**وأمر ثالث** : وهو أن هذا التوسل بالذوات يشبه توسل الناس ببعض المقربين إلى الملوك والحكام ، والله تبارك وتعالى ليس كمثله شيء كما تقدم اعتراف المتوسلين بذلك ، فإذا توسل المسلم إليه تعالى بالأشخاص فقد شبهه عملاً بأولئك الملوك والحكام كما سبق بيانه ، وهذا غير جائز .

## الشبهة الخامسة
## قياس التوسل بالذات على التوسل بالعمل الصالح

هذه شبهة أخرى يثيرها بعض أولئك المبتدعين [١] زينها لهم الشيطان، ولقنهم إياها حيث يقولون : قد قدَّمتم أن من التوسل المشروع اتفاقا التوسل إلى الله تعالى بالعمل الصالح ، فإذا كان التوسل بهذا جائز فالتوسل بالرجل الصالح الذي صدر منه هذا العمل أولى بالجواز ، وأحرى بالمشروعية ، فلا ينبغي إنكاره .

**والجواب من وجهين :**

**الوجه الأول** : أن هذا قياس ، والقياس في العبادات باطل كما تقدم[٢] ، وما مَثَلُ من يقول هذا القول إلا كمثل من يقول : إذا جاز توسل المتوسل بعمله الصالح ـ وهو دون شك دون عمل الولي والنبي ـ جاز أن يتوسل بعمل النبي والولي ، وهذا باطل ، ومالزم منه باطل فهو باطل .

**الوجه الثاني** : أن هذه مغالطة مكشوفة ؛ لأننا لم نقل ـ كما لم يقل أحد من السلف قبلنا ـ أنه يجوز للمسلم أن يتوسل بعمل غيره الصالح ،

---

(١) منهم صاحب كتاب ( التاج ) .
(٢) انظر : صفحة ١٤٥ من كتاب التوسل للألباني وصفحة ٦٧ من هذا الكتاب .

وإنما التوسل المشار إليه إنما هو التوسل بعمل المتوسِّل الصالح نفسه ، فإذا تبين هذا قلبنا عليهم كلامهم السابق فقلنا : إذا كان لا يجوز التوسل بالعمل الصالح الذي صدر من غير الداعي فأولى ثم أولى ألا يجوز التوسل بذاته ، وهذا بَيِّنٌ لا يخفى والحمد لله .



# أحاديث وآثار وقصص

## ضعيفة وموضوعة

# في التوسل [1]

(١) هذا الفصل قمت بإعداده تتميماً للفائدة ، وقد جمعته من كلام العلماء . كشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، والإمام ابن القيم رحمه الله ، والعلاّمة المحدث الألباني ، والعلاّمة ابن باز ، والعلاّمة ابن عثيمين ، والعلاّمة ابن جبرين وغيرهم .



## أولاً : الأحاديث الضعيفة والموضوعة

**الحديث الأول :**

**« توسلوا بجاهي ، فإن جاهي عند الله عظيم » . أو : إذا سألتم الله ، فاسألوه بجاهي ، فإن جاهي عند الله عظيم» .**

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية** (١) : هذا الحديث كذب ليس في شيء من كتب المسلمين التي يعتمد عليها أهل الحديث ، ولا ذكره أحد من أهل العلم بالحديث ، مع أن جاهه عند الله تعالى أعظم من جاه جميع الأنبياء والمرسلين أ . هـ .

**وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضاً** (٢) : وقد تقدم أن ما يذكره بعض العامة من قوله ﷺ : « إذا كانت لكم حاجة فاسألوا الله بجاهي » حديث باطل لم يروه أحد من أهل العلم ، ولا هو في شيء من كتب الحديث ، وإنما المشروع الصلاة عليه في كل دعاء .

ولهذا لما ذكر العلماء الدعاء في الاستسقاء وغيره ذكروا الصلاة عليه، لم يذكروا فيما شرَّع للمسلمين في هذه الحال التوسل به ، كما لم

---

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لشيخ الإسلام ابن تيمية : ص ( ١٦٨ ) . وانظر اقتضاء الصراط المستقيم له أيضاً ( ٢ / ٧٨٣ ) .
(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ( ١ / ٣٤٦ ) .

يذكر أحد من العلماء دعاء غير الله والاستعانة المطلقة بغيره في حال من الأحوال . . . إلخ ماقاله رحمه الله . فليرجع إليه ففيه كلام نفيس .

**وقال العلامة المحدث الألباني** (١) : هذا باطل لا أصل له في شيء من كتب الحديث البتة ، وإنما يرويه بعض الجهال بالسنة . أ . هـ

**وقال أيضاً** (٢) : ومما لا شك فيه أن جاهه ومقامه عند الله عظيم ، فقد وصف الله تعالى موسى ، بقوله : ﴿ **وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا** (٦٩) ﴾ (٣) . ومن المعلوم أن نبينا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم أفضل من موسى ، فهو بلا شك أوجه منه عند ربه سبحانه وتعالى ، ولكن هذا شيء ، والتوسل بجاهه صلى الله عليه وآله وسلم شيءٌ آخر فلا يليق الخلط بينهما كما يفعل بعضهم ، إذ أن التوسل بجاهه صلى الله عليه وآله وسلم يقصد به من يفعله أنه أرجى لقبول دعائه . .

وهذا أمرٌ لا يمكن معرفته بالعقل ، إذ أنه من الأمور الغيبية التي لا مجال للعقل في إدراكها ، فلا بد فيه من النقل الصحيح الذي تقوم به الحجة أ . هـ .

**وقال العلامة ابن عثيمين** : (٤) التوسل بجاه النبي ﷺ ليس بجائز على

---

(١) التوسل أنواعه وأحكامه للعلامة الألباني ( ص : ١٢٧ ) .
(٢) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للعلامة الألباني ( ١/ ٣٠ ) رقم (٢٢ ) .
(٣) سورة الأحزاب ، الآية : ٦٩ .
(٤) انظر ( ص : ١٢٨ ) من هذا الكتاب .

الراجح من قول أهل العلم ، فيحرم التوسل بجاه النبي ﷺ ، فلا يقول الإنسان : ( اللهم إني أسألك بجاه نبيك كذا وكذا ) . وجاه النبي ﷺ بالنسبة للداعي ليس له أثر في حصول المقصود ، وإذا لم يكن له أثر لم يكن سبباً صحيحاً . . . إلخ .

**وقال العلامة ابن جبرين**[1] : هكذا أهل الجهالة والضلالة يتعلقون بما هو أوهى من بيت العنكبوت ، فنحن نطالبهم بإثبات هذا المقال كحديث مرفوع ، حتى يتم الاستدلال به ، فإنه حديث لا أصل له أبداً .

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن جبرين (١ / ٣٢٠) .

**الحديث الثاني :**

**« إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأهل القبور » . أو : « فاستغيثوا بأهل القبور» .**

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية** (١) : فهذا الحديث كذب مفترى على النبيﷺ بإجماع العارفين بحديثه ، لم يروه أحد من العلماء بذلك ، ولا يوجد في شيء من كتب الحديث المعتمدة .

**وقال أيضاً** (٢) : « وما يرويه بعض الناس أنه قال : « إذا تحيرتم في الأمور ، فاستعينوا بأهل القبور » أو نحو هذا ، فهو كلام موضوع مكذوب باتفاق العلماء ، والذي يبين ذلك أمور :

**أحدها** : أنه قد تبين أن العلة التي نهى النبي ﷺ لأجلها عن الصلاة عندها ، إنما هو لئلا تكون ذريعة إلى نوع من الشرك بالعكوف عليها ، وتعلق القلوب بها رغبة ورهبة .

ومن المعلوم أن المضطر في الدعاء الذي قد نزلت به نازلة ، فيدعو لاستجلاب خير كالاستسقاء ، أو لرفع شر كالاستنصار ، حاله في افتتانه بالقبور إذا رجا الإجابة عندها ، أعظم من حال من يؤدي الفرض عندها

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ( ١١/ ٢٩٣ ) . وقد ذكر رحمه الله الاتفاق على وضعه .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية ( ٢ / ٦٧٧ ـ ٦٧٩ ) .

في حال العافية ، فإن أكثر المصلين في حال العافية لاتكاد قلوبهم تفتتن بذلك إلا قليلاً ، أما الداعون المضطرون ، ففتنتهم بذلك عظيمة جداً .

فإذا كانت المفسدة والفتنة التي لأجلها نهي عن الصلاة عندها متحققة في حال هؤلاء ، كان نهيهم عن ذلك أوكد وأوكد ، وهذا واضح لمن فقه في دين الله ، وتبين له ماجاءت بن الحنيفية من الدين لله ، وعلم كمال سنة إمام المتقين في تجريد التوحيد ، ونفي الشك بكل الطرق .

**الثاني** : أن قصد القبور للدعاء عندها ، ورجاء الإجابة بالدعاء هنالك رجاء أكثر من رجائها بالدعاء إلى غير ذلك الموطن ، أمر لم يشرعه الله ولا رسوله ، ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين ، ولا أئمة المسلمين ، ولا ذكره أحد من العلماء ، ولا الصالحين المتقدمين ، بل أكثر ما ينقل من ذلك عن بعض المتأخرين بعد المائة الثانية .

وأصحاب رسول الله ﷺ قد أجدبوا مرات ودهمتهم نوائب غير ذلك ، فهلا جاءوا فاستسقوا واستغاثوا عند قبر النبي ﷺ بل خرج عمر بالعباس فاستسقى به[١] ، ولم يستسق عند قبر النبي ﷺ . . » إلخ أ . هـ .

**وقال الإمام ابن القيم**[٢] : وهو يعدد الأمور التي أوقعت عباد القبور للافتتان بها : « ومنها أحاديث مكذوبة مختلقة ، وضعها أشباه عباد

---

(١) سبق تخريجه صفحة (٢٧) .

(٢) إغاثة اللهفان لابن القيم ( ١ / ٢٤٣ ) .

الأصنام : من المقابرية على رسول الله ﷺ تناقض دينه وما جاء به ، كحديث : « **إذا أعيتكم الأمور ، فعليكم بأصحاب القبور** » . وحديث : «**لو أحسن أحدكم ظنه بحجر نفعه** » . وأمثال هذه الأحاديث التي هي مناقضة لدين الإسلام ، وضعها المشركون ، وراجت على أشباههم من الجهال والضلال» أ . هـ .

**الحديث الثالث :**

**عن أنس بن مالك قال : لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم علي رضي الله عنها دعا أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلاماً أسود يحفرون ، فلما فرغ دخل رسول الله ﷺ ، فاضطجع فيه فقال : « الله الذي يحيي ويميت ، وهو حي لا يموت ، اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ، ولقنها حجتها ، ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي ، فإنك أرحم الراحمين ... »** (١) .

**قال العلامة المحدث الألباني** (١) : ليس في هذا الحديث شيء من الترغيب ، ولا هو يبين فضل عمل ثابت في الشرع ، إنما هو ينقل أمراً دائراً بين أن يكون جائزاً أو غير جائز ، فهو إذن يقرر حكماً شرعياً لو صح ، وأنتم إنما توردونه من الأدلة على جواز هذا التوسل المختلف فيه ، فإذا سلمتم بضعفه لم يجز لكم الاستدلال به ، وما أتصور عاقلاً يوافقكم على إدخال هذا الحديث في باب الترغيب والترهيب ، وهذا شأن من يفر من الخضوع للحق ، يقول مالا يقوله جميع العقلاء . أ . هـ .

---

(١) انظر : التوسل أنواعه وأحكامه للعلامة الألباني ( ص : ١١٠ ) وسلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة له ( ١ / ٣٢ ) حديث رقم (٢٣) فقد بين الشيخ ناصر حفظه الله ضعف هذا الحديث وقد فصَّل القول في ذلك فليرجع إليه هناك .

**الحديث الرابع :**

**عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً : « من خرج من بيته إلى الصلاة ، فقال : اللهم إني أسألك ، بحق السائلين عليك ، وأسألك ؛ بحق ممشاي هذا . فإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياءً ولا سمعة . وخرجتُ اتقاء سُخطك وابتغاء مرضاتك . فأسألك أن تعيذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي . إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، أقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون ألف ملك »** (١) .

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية** (٢) : أما قول القائل أسألك بحق السائلين عليك : فإنه قد روي في حديث عن النبي ﷺ رواه ابن ماجه ؛ لكن لا يقوم بإسناده حجة ، وإن صح هذا الحديث عن النبي ﷺ كان معناه : أن حق السائلين على الله أن يجيبهم ، وحق العابدين له أن يثيبهم ، وهو كتب ذلك على نفسه ، كما قال : ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ** ﴾ (٣) . فهذا سؤال الله بما أوجبه على نفسه كقول

---

(١) أخرجه ابن ماجة برقم (٧٧٨) . والإمام أحمد ( ٣/ ٢١ ) . وقد ضعفه العلامة الألباني في السلسلة الضعيفة (١/ ٣٤) وفي التوسل له ( ص : ٩٩ ) . قال فؤاد عبد الباقي : في الزوائد : هذا إسناد مسلسل بالضعفاء . عطية وهو العوفي ، وفضيل بن مرزوق ، والفضل بن الموفق كلهم ضعفاء . لكن رواه ابن خزيمة في صحيحه من طريق فضيل بن مرزوق ، فهو صحيح عنده .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية : ( ١/ ٣٦٩ ) .

(٣) سورة البقرة ، الآية : ١٨٦ .

القائلين : ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ [١] وكدعاء الثلاثة : الذين آووا إلى الغار لما سألوه بأعمالهم الصالحة ، التي وعدهم أن يثيبهم عليها[٢] . أ . هـ .

**وقال العلامة الألباني** [٣] : وجملة القول أن هذا الحديث ضعيف من طريقيه وأحدهما أشد ضعفاً من الآخر ، وقد ضعفه البوصيري والمنذري وغيرهما من الأئمة ، ومن حسنه فقد وهم أو تساهل . أ . هـ .

**وقال أيضاً** [٤] : ومع كون هذين الحديثين ضعيفين فهما لا يدلان على التوسل بالمخلوقين أبداً ، وإنما يعودان إلى أحد أنواع التوسل المشروع الذي تقدم الكلام عنه ، وهو التوسل إلى الله تعالى بصفة من صفاته عز وجل ، لأن فيهما التوسل بحق السائلين على الله وبحق ممشى المصلين ، فما هو حق السائلين؟ لا شك أنه إجابة دعائهم ، وإجابة عباده صفة من صفاته عز وجل .

وكذلك حق ممشى المسلم إلى المسجد وهو أن يغفر الله له ويدخله الجنة . ومغفرة الله تعالى ورحمته وإدخاله بعض خلقه ممن يطيعه الجنة ، كل ذلك صفات له تبارك وتعالى .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٩٤ .

(٢) حديث أصحاب الغار قد سبق تخريجه صفحة (٢٨) .

(٣) سلسلة الأحاديث الضعيفة للعلامة الألباني (١/ ٣٨) رقم (٢٤) .

(٤) التوسل أنواعه وأحكامه للعلامة الألباني (ص : ١٠٧) .

وبهـذا نعلـم أن هذا الحـديـث الـذي يحـتـج به المبـتـدعـون ينقلب عليهم ، ويصـبح بعد فـهمـه فهماً جيـداً حـجة لنا عليهم ، والحمد لله على توفيقه . أ. هـ .

**وقال أيضاً** [١] : إن حق السـائلين على الله تعـالى هـو أن يجـيب دعاءهم ، فلو صح هذا الحديث وما في معناه فليس فيه توسل ما إلى الله بالمخلوق ، بل هو توسل إليه بصفة من صفاته وهي الإجابة ، وهذا أمر مشروع خارج عن محل النزاع فتأمل منصفاً ، وبهذا يسقط قول هذا المؤلف عقب الحديث : ( فالنبي ﷺ توسل بالسائلين الأحياء والأموات) لأننا نقـول : هذا من تحـريف الكلم ، فـإننا نقـول : إنما توسل ـ لو صح الحديث ـ بحقق السائلين ، وعرفت المعنى الصحيح ، وبحق الممشى ، وهو الإثابة من الله لعبده ، وذلك أيضاً صفة من صفاته تعالى ، فأين التوسل المبتدع وهو التوسل بالذات ؟ ! . أ. هـ .

وقد ورد في الحديث عن أبي أمامة قال : « **كان رسول الله ﷺ إذا أصبح وإذا أمسى دعا بهذا الدعاء : اللهم أنت أحق من ذكر ، وأحق من عبد، اللهم أسألك بنور وجهك الذي أشرقت له السماوات والأرض، وبكل حق هو لك وبحق السائلين عليك** . . . إلخ [٢] .

---

(١) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للعلامة الألباني ( ١ / ٤٦ ) .

(٢) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ( ١٠ / ١١٧ ) وقال : رواه الطبراني وفيه فضال بن جبير وهو ضعيف مجمع على ضعفه ، وقال الألباني : بل هو ضعيف جداً .

وهذا الحديث يحتج به المبتدعون بجواز التوسل بالمخلوقين ، مع العلم أنه ضعيف جداً ؛ كما قال العلامة الألباني : فالحديث شديد الضعف ، فلا يجوز الاستشهاد به [١] .

**وقال العلامة ابن جبرين** [٢] في ردّه على من استدل بهذا الحديث في جواز التوسل بالمخلوقين فقال : إن هذا الدعاء لا بأس به ، ولا دلالة على السؤال بذوات الأنبياء والأولياء ، حيث لم يقل : أسألك بحق الأنبياء والصالحين أو بجاههم ومنزلتهم ، وإنما سأل حق السائلين ، والمراد ما جعله حقاً على نفسه لكل من سأله ودعاه بقوله : ﴿ **ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ** ﴾[٣] .

فكل من سأل الله فله حق الإجابة مع أنه حق تفضُّل وامتنان وكرم ، وليس حق وجوب ، كما اعترف بذلك هذا الكتاب واستدل بقوله تعالى : ﴿ **وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧)** ﴾ [٤] وكقوله : ﴿ **وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ** ﴾ [٥] وكحديث معاذ : « **حق العباد على الله أن لايعذب من لا يشرك به شيئاً** »[٦] .

---

(١) التوسل أنواعه وأحكامه للعلامة الألباني ( ص ١٠٧ ، ١٠٨ ) .

(٢) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن جبرين ( ١/ ٣٢٥ ، ٣٢٦ ) وانظر : الجواب الفائق في الرد على مبدل الحقائق للشيخ ابن جبرين .

(٣) سورة غافر ، الآية : ٦٠ .

(٤) سورة الروم ، الآية : ٤٧ .

(٥) سورة التوبة ، الآية : ١١١ .

(٦) أخرجه البخاري برقم ( ٧٣٧٣ ) ومسلم برقم ( ٣٠ ) .

فحق السائلين عليه أن يجيبهم كما وعدهم ، وهو حق أوجبه على نفسه ، فسؤال الله تعالى بهذا الحق سؤال له بأفعاله لا بذوات السائلين ، وإنما هو كقوله في الدعاء الآخر : « **أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك** » [١] .

فالاستعاذة بمعافاته التي هي فعله كالسؤال بحق السائلين ، الذي هو إثابتهم وهو من فعله تعالى . أ . هـ .

(١) أخرجه مسلم برقم ( ٤٨٦ ) عن عائشة رضي الله عنها .

**الحديث الخامس :**

**عن عمر بن الخطاب مرفوعاً : « لما اقترف آدم الخطيئة، قال: يارب أسألك بحق محمد لما غفرت لي ، فقال : يا آدم ! وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه ؟ قال: يارب لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي ؛ فرأيت على قوائم العرش مكتوباً : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك ، إلا أحب الخلق إليك ، فقال : غفرت لك ، ولولا محمد ما خلقتك »** [١].

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية** [٢]: ورواية الحاكم لهذا الحديث مما أنكر عليه ، فإنه نفسه قد قال في كتاب : ( المدخل إلى معرفة الصحيح من السقيم ) : عبد الرحمن بن زيد بن أسلم روى عن أبيه أحاديث موضوعة لا يخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه ، قلت : وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف باتفاقهم يغلط كثيراً . أ . هـ .

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ( ٢ / ٦١٥ ) . وعنه ابن عساكر ( ٢ / ٣ ، ٣٢ / ٢ ) وكذا البيهقي . قال الحاكم : صحيح الإسناد ولكن تعقبه الذهبي بقوله : قلت : بل موضوع ، وعبد الرحمن واه ، وعبد الله بن أسلم الفهري لا أدري من ذا » .
وقال العلامة الألباني : موضوع . وانظر : سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ( ١ / ٣٨ ) حديث رقم ( ٢٥ ) والتوسل أنواعه وأحكامه ص ( ١١٣ ) . وقد فصّل العلامة الألباني القول في هذا الحديث فليرجع إليه ففيه فوائد عظيمة .

(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ( ٦٩ ) .

**وقال العلامة الألباني** (١) : وجملة القول أن الحديث لا أصل له عنه ﷺ فلا جرم أن حكم عليه بالبطلان الحافظان الجليلان الذهبي والعسقلاني كما تقدم النقل عنهما أ . هـ .

**وقال العلامة ابن جبرين** (٢) : وقد يتعلقون بحكايات مكذوبة أو أحاديث لا أصل لها ، كقولهم إن الله قال له : « لولاك ماخلقت الكون ، أو ما خلقت الأفلاك » . وكقولهم إن الله قال لآدم : « لولا محمد ماخلقتك» . ونحوها من الأكاذيب التي بنوا عليها وصفه ﷺ بأنه يعلم ما في اللوح المحفوظ وكل مافي الكون ، وأنه يملك الدنيا والآخرة ، فيعطي ويمنع . . . إلخ . أ . هـ .

---

(١) سلسلة الأحاديث الضعيفة للعلامة الألباني ( ١ / ٤٠ ) .

(٢) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن جبرين ( ١ / ٣٠٨ ) .

**الحديث السادس :**

**عن أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد قال: كان رسول الله يستفتح بصعاليك المهاجرين** (١) .

**قال العلامة الألباني** (٢) : « فثبت بذلك ضعف الحديث وأنه لاتقوم به حجة» . ثم قال : « إن الحديث لو صح فلا يدل إلا على مثل ما دل عليه حديث عمر (٣) وحديث الأعمى (٤) من التوسل بدعاء الصالحين .

**قال المناوي في ( فيض القدير )** (٥) : « **كان يستفتح** » أي يفتتح القتال، من قوله تعالى : ﴿ **إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ** ﴾ (٦) . ذكره

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ( ١ / ٢٦٩ ) والتبريزي في مشكاة المصابيح ( ٥٢٤٧ ) والقرطبي في تفسيره ( ٢/ ٢٦ ) .
قال ابن عبد البر في الاستيعاب ( ١ / ٣٨ ) : « لا تصح عندي صحبته ـ أي أمية ـ والحديث مرسل » . وقال الحافظ في الإصابة ( ١/ ١٣٣ ) : « ليست له صحبة ولا رواية» . وقال العلامة الألباني في التوسل ص : ١١١ : « مداره على أمية هذا ولم تثبت صحبته فالحديث مرسل ضعيف» .

(٢) التوسل أنواعه وأحكامه للعلامة الألباني ( ص ١١٢ ) .

(٣) حديث عمر هو حديث طلب السقيا من العباس عمّ النبي ﷺ وقد سبق تخريجه صفحة ( ٢٧) .

(٤) حديث الأعمى هو حديث الرجل الأعمى الذي طلب من النبي ﷺ أن يدعو الله له أن يكشف بصره وقد سبق تخريجه صفحة ( ٥٨ ) .

(٥) فيض القدير ( ٥/ ٢١٩ ) .

(٦) سورة الأنفال ، الآية : ١٩ .

الزمخشري . « **ويستنصر** » أي يطلب النصرة « **بصعاليك المسلمين** » أي : بدعاء فقرائهم الذين لا مال لهم . أ . هـ .

**وقال العلامة الألباني**[١] : وقد جاء هذا التفسير ـ أي تفسير المناوي السابق ـ من حديثه ﷺ ، أخرجه النسائي بلفظ : « **إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها ، بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم** » وسنده صحيح ، وأصله في صحيح البخاري[٢] ، فقد بين الحديث أن الاستنصار إنما يكون بدعاء الصالحين ، لا بذواتهم وجاههم .

ومما يؤكد ذلك أن الحديث ورد في رواية قيس بن الربيع المتقدمة بلفظ : « **كان يستفتح ويستنصر ...** » فقد علمنا بهذا أن الاستنصار بالصالحين يكون بدعائهم وصلاتهم وإخلاصهم وهكذا الاستفتاح .

وبهذا يكون هذا الحديث ـ إن صح ـ دليلاً على التوسل المشروع ، وحجة على التوسل المبتدع أ . هـ .

---

(١) التوسل أنوعه وأحكامه للعلامة الألباني ص : ١١٢ .

(٢) أخرجه النسائي برقم (٣١٧٨) عن سعد رضي الله عنه .
وأخرجه البخاري برقم (٢٨٩٦) بلفظ : « **هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم** » .

**الحديث السابع :**

**عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال : « حياتي خير لكم ، تحدثون ويحدث لكم ، ووفاتي خير لكم ، تعرض علي أعمالكم ، فإن رأيت خيراً حمدت الله عليه ، وإن رأيت شراً استغفرت الله لكم »** (١) .

**قال العلامة الألباني** (٢) : بعد أن ساق كلام العلماء في الحديث جرحاً وتعديلاً قال : وجملة القول أن الحديث ضعيف بجميع طرقه ، وخيرها حديث بكر بن عبد المطلب المزني وهو مرسل ، وهو من أقسام الحديث الضعيف عند المحدثين ، ثم حديث ابن مسعود وهو خطأ ، وشرها حديث أنس بطريقيه . أ . هـ .

---

(١) أخرجه النسائي ( ١ / ١٨٩ ) والطبراني في المعجم الكبير ( ٣/ ٨١/ ٢ ) وأبو نعيم في أخبار أصبهان ( ٢ / ٢٠٥ ) وابن عساكر ( ٩ / ١٨٩/ ٢ ) وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ( ٢/ ٤٠٤ ) .

(٢) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للعلامة الألباني ( ٢/ ٤٠٤ ـ ٤٠٦ ) .



## ثانياً : الآثار والقصص الضعيفة والموضوعة

### الأثـر الأول :

**عن مالك الدار ـ وكـان خازن عمـر ـ قال : « أصـاب الناس قحط في زمن عمر ، فجاء رجل إلى قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يارسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا ، فأتي الرجل في المنام ، فقيل له : ائت عمر... الأثر »** [١] .

**قال العلامة الألباني** [٢] : إنها ـ أي هذه القصة وهذا الأثر ـ مخالفة لما ثبت في الشرع من استحباب إقامة صلاة الاستسقاء لاستنزال الغيث من السماء، كما ورد في ذلك أحاديث كثيرة ، وأخذ به جماهير الأئمة، بل هي مخالفة لما أفادته الآية من الدعاء والاستغفار ، وهي قوله تعالى في سورة نوح : ﴿**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً (١١)**﴾ [٣] . وهذاما فعله عمر بن الخطاب حين استسقى وتوسل بدعاء العباس كما سبق بيانه [٤] . وهكذا كانت عادة السلف الصالح كلما

---

(١) ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري ( ٢/ ٣٩٧ ) . قال العلامة الألباني في التوسل ص (١٣١) : الأثر ضعيف لجهالة مالك الدار .

(٢) التوسل أنواعه وأحكامه للعلامة الألباني ص ( ١٣١ ، ١٣٢ ) .

(٣) سورة نوح ، الآيتان : ١٠ ، ١١ .

(٤) أثر استسقاء عمر بالعباس رضي الله عنه سبق تخريجه ص (٢٧) .

أصابهم القحط أن يصلوا ويدعوا ، ولم ينقل عن أحد منهم مطلقاً أنه التجأ إلى قبر النبي ﷺ ، وطلب منه الدعاء للسقيا ، ولو كان ذلك مشروعاً لفعلوه ولو مرة واحدة ، فإذ لم يفعلوه دل ذلك على عدم مشروعية ماجاء في القصة أ . هـ .

**وقال أيضاً** (١) : أن هذا الأثر ليس فيه التوسل بالنبي ﷺ ، بل فيه طلب الدعاء منه بأن يسقي الله تعالى أمته ، وهذه مسألة أخرى لا تشملها الأحاديث المتقدمة ، ولم يقل بجوازها أحد من علماء السلف الصالح رضي الله عنهم ، أعني الطلب منه ﷺ بعد وفاته أ . هـ .

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله** (٢) : لم يكن النبي ﷺ ولا أحد من الأنبياء قبله شرعوا للناس أن يدعوا الملائكة والأنبياء والصالحين، ويستشفعوا بهم ، لا بعد مماتم، ولا في مغيبهم، **فلا يقول أحد** : ( ياملائكة الله اشفعوا لي عند الله ، سلوا الله لنا أن ينصرنا أو يرزقنا أو يهدينا ) وكذلك لا يقول لمن مات من الأنبياء والصالحين : يانبي الله يا ولي الله ادع الله لي ، سل الله لي ، سل الله أن يغفر لي . . . **ولا يقول** : ( أشكو إليك ذنوبي أو نقص رزقي أو تسلط العدو علي ، أو أشكو إليك فلاناً الذي ظلمني ) . **ولا يقول** : ( أنا نزيلك ، أنا ضيفك ، أنا جارك ، أو أنت تجير من

---

(١) التوسل أنواعه وأحكامه للعلامة الألباني ، ص : ١٣٣ .
(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لشيخ الإسلام ابن تيمية صفحة ( ١٩ ، ٢٠ ).

يستجيرك ، ولا يكتب أحد ورقة ويعلقها عند القبور، ولا يكتب أحد محضراً أنه استجار بفلان ، ويذهب بالمحضر إلى من يعمل بذلك المحضر ونحو ذلك مما يفعله أهل البدع من أهل الكتاب والمسلمين، كما يفعله النصارى في كنائسهم ، وكما يفعله المبتدعون من المسلمين عند قبور الأنبياء والصالحين أو في مغيبهم . فهذا مما علم بالاضطرار من دين الإسلام، وبالنقل المتواتر وبإجماع المسلمين أن النبي ﷺ لم يشرع هذا لأمته، وكذلك الأنبياء قبله لم يشرعوا شيئاً من ذلك ، ولا فعل هذا أحد من أصحابه ﷺ والتابعين لهم بإحسان ، ولا استحب ذلك أحد من أئمة المسلمين ، ولا الأئمة الأربعة ولا غيرهم ، ولا ذكر أحد من الأئمة لا في مناسك الحج ولا غيرها أنه يستحب لأحد أن يسأل النبي ﷺ عند قبره أن يشفع له أو يدعو لأمته ، أو يشكو إليه ما نزل بأمته من مصائب الدنيا والدين .

وكان أصحابه يبتلون بأنواع البلاء بعد موته ، فتارة بالجدب ، وتارة بنقص الرزق ، وتارة بالخوف وقوة العدو ، وتارة بالذنوب والمعاصي، ولم يكن أحد منهم يأتي إلى قبر الرسول ولا قبر الخليل ولا قبر أحد من الأنبياء فيقول: نشكو إليك جدب الزمان أو قوة العدو ، أو ينصرهم أو يغفر لهم ، بل هذا وما يشبهه من البدع المحدثة التي لم يستحبها أحد من أئمة المسلمين، فليست واجبة ولا مستحبة باتفاق أئمة المسلمين . . . » الخ ما قال رحمه الله تعالى .

**الأثـر الثـانـي :**

**عن أبي الجـوزاء أوس بن عبـدالله ، قـال : قـحط أهل المدينة قـحطاً شديداً؛ فشكو إلى عـائشة ، فقالت: انظروا إلى قبـر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاجـعلوا منه كواً إلى السـماء ، حـتى لايكون بينه وبين السمـاء سقف ، قال : ففعلوا ، فمطرنا مطراً حتى نبـت العشب ، وسمنت الإبل ، حتى تفتقت من الشحم ، فسمي عام الفتق** (١) .

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله** (٢) : وما روي عن عائشة رضي الله عنها من فتح الكوة من قبره إلى السماء لينزل المطر فليس بصحيح ، ولا يثبت إسناده ، ومما يبين كذب هذا أنه في مدة عائشة لم يكن للبيت كوة ، بل كـان باقيـاً كـمـا كـان على عهـد النبي ﷺ ، بعضـه مسـقوف وبعضـه مكشوف ، وكانت الشمس تنزل فيه ، كما ثبت في الصحيحين عن عـائشة أن النبي ﷺ كان يصلي العصر والشمس في حجرتها ، لم يظهر الفيء بعد(٣) ، ولم تزل الحجرة كذلك حتى زاد الوليد بن عبد الملك في المسجد

---

(١) أخـرجـه الدارمي ( ١ / ٥٦ ) بقم ( ٩٢ ) . قـال العـلامـة الألبـاني في التـوسل : (ص ١٣٩ ) : وهذا سند ضعيف لا تقوم به حجة لأمور ثلاثة . . . ثم ذكر هذه الأمور فلتراجع هناك .

(٢) انظر : الرد على البكري لشيخ الإسلام بن تيمية ص (٦٨ : ٧٤ ) .

(٣) أخرجه البخاري برقم (٥٢١) ومسلم برقم (٦١١) .

في إمارته لما زاد الحجر في مسجد الرسول ﷺ . ومن حينئذ دخلت الحجرة النبوية في المسجد ، ثم إنه بني حول حجرة عائشة التي فيها القبر جدار عال ، وبعد ذلك جعلت الكوة لينزل منها من ينزل إذا احتيج إلى ذلك لأجلٍ كنس أو تنظيف . وأما وجود الكوة في حياة عائشة فكذب بيِّنٌ ، ولو صحّ ذلك لكان حجة ودليلاً على أن القوم لم يكونوا يقسمون على الله بمخلوق ، ولا يتوسلون في دعائهم بميت ، ولا يسألون الله به ، وإنما فتحوا القبر لتنزل الرحمة عليه ، ولم يكن هناك دعاء يقسمون به عليه . فأين هذا من هذا ؟ والمخلوق إنما ينفع المخلوق بدعائه أو بعمله ، فإن الله تعالى يحب أن نتوسل إليه بالإيمان والعمل والصلاة والسلام على نبيه ﷺ ومحبته وطاعته وموالاته ، فهذه هي الأمور التي يحب الله أن نتوسل بها إليه . . . إلخ ماقاله رحمه الله . أ . هـ .

**الأثـر الثـالث :**

**عن علي بن ميمون ، قال : سمعت الشافعي يقول: إني لأتبرك بأبي حنيفة ، وأجيء إلى قبره في كل يوم ـ يعني زائراً ـ فإذا عرضت لي حاجة صليت ركعتين ، وجئت إلى قبره ، وسألت الله تعالى الحاجة عنده ، فما تبعد عني ، حتى تُقضى** (١) .

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية** (٢) لما ذكر هذه القصة : « وهذا كذلك معلوم كذبه بالاضطرار عند من له معرفة بالنقل ، فإن الشافعي لما قدم بغداد لم يكن ببغداد قبر ينتاب للدعاء عنده ألبتة ، بل ولم يكن هذا على عهد الشافعي معروفا ، وقد رأى الشافعي بالحجاز واليمن والشام والعراق ومصر من قبور الأنبياء والصحابة والتابعين ، من كان أصحابها عنده وعند المسلمين أفضل من أبي حنيفة وأمثاله من العلماء ، فما باله لم يتوخ الدعاء إلا عنده ؟ .

ثم إن أصحاب أبي حنيفة الذين أدركوه مثل أبي يوسف ومحمد وزفر والحسن بن زياد وطبقتهم ، لم يكونوا يتحرون الدعاء لا عند قبر أبي

---

(١) أخرج هذه الحكاية الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ( ١ / ١٢٣ ) من طريق عمر بن إسحاق بن إبراهيم قال : نبأنا علي بن ميمون قال : سمعت الشافعي به . قال العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (١/ ٣١) : فهذه رواية ضعيفة بل باطلة .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية ( ٢ / ٦٨٥ ) .

حنيفة ولا غيره .

ثم قد تقدم عن الشافعي ما هو ثابت في كتابه من كراهة تعظيم قبور المخلوقين خشية الفتنة بها ، وإنما يضع مثل هذه الحكايات من يقل علمه ودينه ، وإما أن يكون المنقول من هذه الحكايات مجهول لا يعرف» أ. هـ.

**وقال ابن القيم** [(١)] : « والحكاية المنقولة عن الشافعي أنه كان يقصد الدعاء عند قبر أبي حنيفة من الكذب الظاهر » أ . هـ .

**وقال العلامة المحدث الألباني** [(٢)] : فهذه رواية ضعيفة ، بل باطلة ، فإن عمر بن إسحاق بن إبراهيم غير معروف ، وليس له ذكر في شيء من كتب الرجال ، ويحتمل أن يكون هو عمرو ـ بفتح العين ـ ابن إسحاق بن إبراهيم بن حميد بن السكن أبو محمد التونسي ، وقد ترجمه الخطيب (١٢ / ٢٢٦) وذكر أنه بخاري قدم بغداد حاجًا سنة ٣٤١ ، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً ، فهو مجهول الحال ، ويبعد أن يكون هو هذا ، إذا إن وفاة شيخه علي بن ميمون سنة ٢٤٧ على أكثر الأقوال ، فبين وفاتهما نحو مائة سنة ، فيبعد أن يكون قد أدركه ، وعلى كل حال فهي رواية ضعيفة لا يقوم على صحتها دليل » أ . هـ .

---

(١) إغاثة اللهفان لابن القيم ( ١ / ٢٤٦ ) .

(٢) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للعلامة الألباني ( ١/ ٣١) حديث رقم (٢٢) .

**وختاماً أخي المسلم :**

وبعد أن عرفت جملة من الأحاديث والآثار والقصص الضعيفة والموضوعة والمكذوبة في التوسل البدعي الذي يتمسك به أهل البدع والضلال .

فإياك إياك يا ابن الإسلام أن تغتر بمثل هذه الترهات !

وتوكل على الحي الذي لايموت فإنه قال : ﴿**وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ**﴾(١) .

ولاتناد ولا تلجأ إلا إلى الله .

ولا تستنجد ولا تستغيث إلا بالله .

ولا تدع مع الله أحداً .

أخي : إذا سألت فاسأل الله .

وإذا استعنت فاستعن بالله .

واعلم أن الأمة لو اجتمعت على ضرك أو نفعك لا يضرونك ولا ينفعونك إلا بما كتبه الله لك أو عليك .

أسأل الله أن يوفقك ويشرح لك صدرك وأن تكون ممن يتوسل إلى الله توسلاً شرعياً لا بدعياً ، وأسأله تعالى أن يغفر لك ذنبك وأن ينجيك من عذاب النار وبئس القرار .

---

(١) سورة الطلاق ، الآية : ٣ .

# فتـــاوى

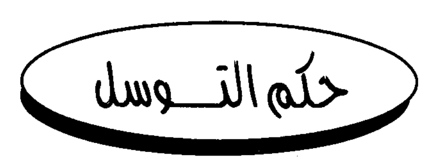
# تتعلق

# بالتوسل

للشيخ العلاّمة

**محمـد بن صالح العثيمين**






**١ سئل فضيلة الشيخ ابن عثيمين : عن حكم التوسل؟** [١]

**فأجاب :**

هذا سؤال مهم فنحب أن نبسط الجواب فيه فأقول :

**التوسل:** مصدر توسل يتوسل ، أي اتخذ وسيلة توصله إلى مقصوده ، فأصله طلب الوصول إلى الغاية المقصودة .

وينقسم التوسل إلى قسمين :

**القسم الأول: التوسل الصحيح :**

وهو التوسل بالوسيلة الصحيحة الموصلة إلى المطلوب وهو على أنواع نذكر منها :

**النوع الأول : التوسل إلى الله تعالى بأسمائه :**

وذلك على وجهين :

**الوجه الأول : أن يكون ذلك على سبيل العموم** : ومثاله : ماجاء في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في دعاء الهم والغم قال : « **اللهم**

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين ( ٢/ ٣٣٥ ) فتوى رقم (٣٧٤) وانظر : فقه العبادات ( ٨٨ ) .

**إني عبدك ، ابن عبدك ، ابن أمتك ، ناصيتي بيدك ، ماضٍ فيّ حكمك ، عدل فيّ قضاؤك ، أسـألك اللهم بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي..»** (١) الخ فهنا توسل بأسماء الله تعالى على سبيل العموم « **أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك** » .

**الوجه الثاني: أن يكون ذلك على سبيل الخصوص:** بأن يتوسل الإنسان باسم خاص لحاجة خاصة تناسب هذا الاسم ، مثل ماجاء في حديث أبي بكر رضي الله عنه حيث طلب من النبي ﷺ دعاءً يدعو به في صلاته فقال : « **قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ، ولايغفر الذنوب إلا أنت فأغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم** » (٢) ، فَطَلَبَ المغفرة والرحمة ، وتوسل إلى الله تعالى باسمين من أسمائه مناسبين للمطلوب ، وهما «الغفور» و«الرحيم» .

وهذا النوع من التوسل داخل في قوله تعالى : ﴿**وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا**﴾ (٣) ، فإن الدعاء هنا يشمل دعاء المسألة ، ودعاء العبادة .

**النوع الثاني: التوسل إلى الله تعالى بصفاته :**

وهو أيضاً كالتوسل بأسمائه على وجهين :

**الوجه الأول: أن يكون عاماً :** كأن تقول : (اللهم إني أسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العليا) ثم تذكر مطلوبك .

---

(١) سبق تخريجه صفحة ( ١٥ ) .
(٢) سبق تخريجه ص ( ١٦ ) .
(٣) سورة الأعراف : ١٨٠ .

**الوجه الثاني: أن يكون خاصاً** : كأن تتوسل إلى الله تعالى بصفة معينة خاصة لمطلوب خاص ، مثل ماجاء في الحديث : «**اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق ، أحيني ماعلمت الحياة خيراً لي ، وتوفني إذا علمت الوفاة خيراً لي**» [١]، فهنا توسل لله تعالى بصفة «العلم» و«القدرة» وهما مناسبان للمطلوب .

ومن ذلك أن يتوسل بصفة فعلية ، مثل : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم .

**النوع الثالث : التوسل إلى الله عز وجل بالإيمان به وبرسوله ﷺ :**

فيقول : (اللهم إني آمنت بك وبرسولك ، فاغفر لي أو وفقني) .

أو يقول : (اللهم بإيماني بك وبرسولك أسألك كذا وكذا) ، ومنه قوله تعالى : ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ** ... إلى قوله : **رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ (١٩٣)**﴾ .[٢] فتوسلوا إلى الله تعالى بالإيمان به ، أن يغفر لهم الذنوب ويكفر عنهم السيئات ويتوفاهم مع الأبرار .

---

(١) سبق تخريجه صفحة (١٨) .

(٢) سورة آل عمران : ١٩٠ ـ ١٩٣ .

النوع الرابع : التوسل إلى الله سبحانه وتعالى بالعمل الصالح :

ومنه قصة النفر الثلاثة الذين أووا إلى غار ليبتوا فيه ، فانطبق عليهم الغار بصخرة لايستطيعون زحزحتها ، فتوسل كل منهم إلى الله بعمل صالح فعله ، فأحدهم توسل إلى الله تعالى ببره بوالديه ، والثاني بعفته التامة ، والثالث بوفائه لأجيره ، قال كل منهم : ( اللهم إن كنت فعلت ذلك من أجلك فافرج عنا مانحن فيه ) فانفرجت الصخرة [١] ، فهذا توسل إلى الله بالعمل الصالح .

النوع الخامس : التوسل إلى الله تعالى بذكر حاله :

يعني أن الداعي يتوسل إلى الله تعالى بذكر حاله وماهو عليه من الحاجة ، ومنه قول موسى ، عليه الصلاة والسلام : ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[٢] ، يتوسل إلى الله تعالى بذكر حاله أن ينزل إليه الخير ، ويقرب من ذلك قول زكريا عليه الصلاة والسلام : ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾﴾ .[٣]

فهذه أنواع من التوسل كلها جائزة لأنها أسباب صالحة لحصول المقصود بالتوسل بها .

---

(١) سبق تخريجه صفحة ( ٢٨ ) .
(٢) سورة القصص ، الآية : ٢٤ .
(٣) سورة مريم ، الآية : ٤ .

**النوع السادس: التوسل إلى الله عز وجل بدعاء الرجل الصالح الذي ترجى إجابته :**

فإن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يسألون النبي ﷺ أن يدعو الله لهم بدعاء عام ودعاء خاص، ففي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً دخل يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب فقال : يارسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل، فادع الله يغيثنا ، فرفع النبي ﷺ يديه وقال : « **اللهم أغثنا** » ثلاث مرات، فما نزل من منبره إلا والمطر يتحادر من لحيته ،وبقي المطر أسبوعاً كاملاً . وفي الجمعة الأخرى جاء ذلك الرجل أو غيره والنبي ﷺ يخطب فقال : يارسول الله غرق الماء وتهدم البناء ، فادع الله أن يمسكها عنا ، فرفع النبي ﷺ يديه وقال : « **اللهم حوالينا ولا علينا**» فما يشير إلى ناحية من السماء إلا انفرجت ، حتى خرج الناس يمشون في الشمس . (١)

وهناك عدة وقائع سأل الصحابة النبي ﷺ أن يدعو لهم على وجه الخصوص ، ومن ذلك : أن النبي ﷺ ذكر أن في أمته سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ، وهم الذين لايسترقون ، ولايكتوون ، ولايتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون ، فقام عكاشة بن محصن وقال : يارسول الله ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال : « **أنت منهم**» (٢) .

فهذا أيضاً من التوسل الجائز وهو أن يطلب الإنسان من شخص ترجى إجابته يدعو الله تعالى له .

(١) سبق تخريجه ، صفحة ( ٢٣ ، ٢٤) .

(٢) سبق تخريجه ، صفحة ( ٢٦ ) .

إلا أن الذي ينبغي أن يكون السائل يريد بذلك نفع نفسه ، ونفع أخيه الذي طلب منه الدعاء ، حتى لايتمحض السؤال لنفسه خاصة ، لأنك إذا أردت نفع أخيك ونفع نفسك صار في هذا إحسان إليه ؛ فإن الإنسان إذا دعا لأخيه في ظهر الغيب قال الملك : «**آمين ولك بمثل**» [١]، وهو كذلك يكون من المحسنين بهذا الدعاء والله يحب المحسنين .

**القسم الثاني: التوسل غير الصحيح :**

وهو : أن يتوسل الإنسان إلى الله تعالى بما ليس بوسيلة ، أي بما لم يثبت في الشرع أنه وسيلة ، لأن التوسل بمثل ذلك من اللغو والباطل المخالف للمعقول والمنقول ، ومن ذلك أن يتوسل الإنسان إلى الله تعالى بدعاء ميت ، يطلب من هذا الميت أن يدعو الله له ؛ لأن هذا ليس وسيلة شرعية صحيحة ، بل من سفه الإنسان أن يطلب من الميت أن يدعو الله له ؛ لأن الميت إذا مات انقطع عمله [٢]، ولايمكن لأحد أن يدعو لأحد بعد موته ، حتى النبي ﷺ لايمكن أن يدعو لأحد بعد موته ، ولهذا لم يتوسل الصحابة رضي الله عنهم إلى الله بطلب الدعاء من رسوله ﷺ بعد موته ، فإن الناس لما أصابهم الجدب في عهد عمر رضي الله عنه قال : ( اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا ) فقام العباس رضي الله عنه فدعا الله تعالى [٣] .

---

(١) لحديث : « دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة . . . . » من رواية أم الدرداء رضي الله عنها سبق تخريجه صفحة ( ٢٦ ) .

(٣) لحديث : « إذا مات الإنسان انقطع عمله . . . » من رواية أبو هريرة رضي الله عنه سبق تخريجه صفحة ( ٣٦ ) .

(٣) سبق تخريجه ، ص : (٢٧) .

ولو كان طلب الدعاء من الميت سائغاً ووسيلة صحيحة ، لكان عمر ومن معه من الصحابة يطلبون ذلك من رسول الله ﷺ ، لأن إجابة دعاءه ﷺ أقرب من إجابة دعاء العباس رضي الله عنه .

فالمهم أن التوسل إلى الله بطلب الدعاء من ميت توسل باطل لايحل ولايجوز .

**ومن التوسل الذي ليس بصحيح** : أن يتوسل الإنسان بجاه النبي ﷺ ، وذلك أن جاه الرسول ﷺ ، ليس مفيداً بالنسبة إلى الداعي ، لأنه لايفيد إلا الرسول ﷺ ، أما بالنسبة للداعي فليس بمفيد حتى يتوسل إلى الله به ، وقد تقدم أن التوسل اتخاذ الوسيلة الصالحة التي تثمر . فما فائدتك أنت من كون الرسول ﷺ له جاه عن الله ؟! وإذا أردت أن تتوسل إلى الله على وجه صحيح فقل : ( اللهم بإيماني بك وبرسولك ، أو بمحبتي لرسولك وما أشبه ذلك) فإن هذه هي الوسيلة الصحيحة النافعة .




**٢ وسئل فضيلة الشيخ : عن التوسل هل هو من مسائل العقيدة ؟ وعن حكم التوسل بالصالحين ؟** (١) .

**فأجاب :**

التوسل داخل في العقيدة ؛ لأن المتوسل يعتقد أن لهذه الوسيلة تأثيراً في حصول مطلوبه ودفع مكروهه ، فهو في الحقيقة من مسائل العقيدة ؛ لأن الإنسان لايتوسل بشيء إلا وهو يعتقد أن له تأثيراً فيما يُريد .

**والتوسل بالصالحين ينقسم إلى قسمين:**

**القسم الأول: التوسل بدعائهم:**

فهذا لا بأس به ، فقد كان الصحابة رضي الله عنهم يتوسلون برسول الله ﷺ بدعائه ، يدعو الله لهم فينتفعون بذلك (٢) ، واستسقى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعم النبي ﷺ العباس بن عبد المطلب بدعائه (٢) .

**القسم الثاني: التوسل بذواتهم :**

فهذا ليس بشرعي ؛ بل هو من البدع من وجه ، ونوع من الشرك من

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين ( ٢/ ٣٤٦ ) فتوى رقم ( ٣٧٧ ) .

(٢) سبق تخريجه صفحة ( ٢٧ ) .

وجه آخر .

* **فهو من البدع** ؛ لأنه لم يكن معروفاً في عهد النبي ﷺ وأصحابه .

* **وهو من الشرك** ؛ لأن كل من اعتقد في أمر من الأمور أنه سبب ولم يكن سبباً شرعياً فإنه قد أتى نوعاً من أنواع الشرك ، وعلى هذا لايجوز التوسل بذات النبي ﷺ ، مثل أن يقول : (أسألك بنبيك محمد ﷺ )إلا على تقدير أنه يتوسل إلى الله تعالى بالإيمان بالرسول ﷺ ومحبته ، فإن ذلك من دين الله الذي ينتفع به العبد ، وأما ذات النبي ﷺ فليست وسيلة ينتفع بها العبد .

وكذلك على القول الراجح لايجوز التوسل بجاه النبي ﷺ ؛ لأن جاه النبي ﷺ إنما ينتفع به النبي ﷺ نفسه ولا ينتفع به غيره ، وإذا كان الإنسان يتوسل بجاه النبي ﷺ باعتقاد أن للنبي جاهاً عند الله ، فليقل : ( اللهم إني أسألك أن تشفع بي نبيك محمداً ﷺ ) وما أشبه ذلك من الكلمات التي يدعو بها الله عزوجل .

## التوسل بالعمل الواحد لأكثر من شيء

**٣ وسئل فضيلة الشيخ : بالنسبة للتوسل بالأعمال الصالحة : هل يتوسل الإنسان بالعمل الواحد لأكثر من شيء؟ (١)**

**فأجاب :**

نعم يمكن أن يتوسل بالعمل الصالح لعدة أمور ، كما قال تعالى : ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (١٩٤)﴾ . (٢)

---

(١) لقاء الباب المفتوح ( جـ/ ٣٥ ، ٣٦ ) صفحة ( ٢٥ ) سؤال رقم ( ٨٥٢ ) .

(٢) سورة آل عمران ، الآيتان : ١٩٣ ، ١٩٤ .

## طلب الشفاعة من الفقهاء

**٤ وسئل فضيلة الشيخ : يوجد في بعض جهاتنا بعض التقاليد والعادات السيئة التي تخالف التعاليم الإسلامية وهي:**

**أن جماعة من الناس في تهامة يطلبون الشفاعة من الفقهاء ، ويتضرعون إليهم ، سواء أكانوا أحياء أم أمواتاً ، ويعتقدون أن في رضى هؤلاء الرحمة ، والشفاعة ، وجلب الرزق ، ودفع البلاء ، وسلامة الأولاد ، وإذا توفي واحد منهم –من الفقهاء– يقومون بزيارة قبره ،والتبرك به ، والدعاء حوله بطلب الشفاعة ، والرضى عليهم ، ويعمل هؤلاء الناس له عيداً ، وهذه العادات منتشرة وكثيرة. أرجو إرشادهم عبر برنامجكم؟ وجزاكم الله خيراً .** [1] .

**فأجاب :**

هذه العادات التي ذكرها السائل في سؤاله ، منها شيء جائز، ومنها شيء محرم .

**أما الجائز فهو** : أنه إذا رأى صاحب خير وصلاح أن يطلب منه أن يدعو له ، كما كان الصحابة رضي الله عنهم يفعلون ذلك ، إذ يذهبون إلى النبي ﷺ فيطلبون منه أن يدعو الله لهم ، ولقد قال عكاشة بن محصن حين ذكر لرسول الله ﷺ أن سبعين ألفاً من أمته يدخلون الجنة بلا حساب

(١) فتاوى منار الإسلام ( ١ / ٣٥ ) سؤال رقم (١٩) .

ولاعـذاب ، فـقـال عكاشـة ادع الله أن يجـعلني منهم ، فـقـال : « **أنـت منهم**»(١) ، أخرجاه في الصحيحين .

ودخل رجل يوم الجمعة ، والرسول ﷺ يخطب ، فقال : يارسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل ؛ فادع الله أن يغيثنا ، فرفع النبي ﷺ يديه وقال : « **اللهم اغثنا** » (٢) . وصح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه خرج يوماً ليستسقي ، فقال : ( اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا ، وإننا نتوسل إليك بعم نبينا ، قم ياعباس فادع الله ، فدعا ) (٣) .

وعلى هذا فإذا توسم بهؤلاء الصالحين الخير فلاحرج أن يطلب منهم أن يدعوا له ، ولكن ينبغي أن يقصد نفعهم بذلك الدعاء ؛ لأنهم إذا دعوا له فقد أتوا بعبادة لله ، وبإحسان لأخيهم الذي دعوا له ، فينوي مصلحتهم بدعائهم له بكونهم تعبدوا لله بهذا الدعاء ، ونفعوا أخاهم بطلبه ومايرجى من إجابة دعوتهم .

أما إذا كان هؤلاء الصالحون قد ماتوا ، فإن دعاءهم والاستغاثة بهم شرك أكبر ، مخرج عن الملة ، لأنه دعاء لغير الله عز وجل ، والدعاء عبادة ، قال تعالى : ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ** ﴾(٤) ؛ فأخبر سبحانه أن الدعاء عبادة ، وأن

---

(١) سبق تخريجه ، صفحة ( ٢٦ ) .
(٢) سبق تخريجه صفحة ( ٢٣ ، ٢٤ ) .
(٣) سبق تخريجه ، صفحة ( ٢٧ ) .
(٤) سورة غافر ، الآية: ٦٠ .

من استكبر عن عبادته سيدخل جهنم داخراً صاغراً .

وقال سبحانه : ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾[1] ؛ فبين سبحانه في هذه الآية أن من دعا مع الله إلها آخر فإنه كافر ، ولن يفلح ؛ أي لن يحصل له مطلوبه ، ولهذا بين تبارك وتعالى في آية أخرى ذلك بقوله : ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾﴾ .[2]

فدعاء غير الله شرك في العقيدة ، وخروج عن الملة ، وضلال في العقل .

**فإن قالوا** : نحن نطلب منهم أن يدعوا الله لنا .

**قلنا** : وهذا ضلال وسفه ، لأن هؤلاء الأموات لايستجيبون لكم ، أي لايقدرون أن يدعوا الله بأن يستجيب لكم ، لأن الإنسان إذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث كما ثبت ذلك في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له** »[3] ، فلا عمل لهم بعد الموت ، ولادعاء لهم بعد الموت ، وهم لايستجيبون لأحد .

---

(١) سورة المؤمنون ، الآية : ١١٧ .

(٢) سورة الأحقاف ، الآيتان : ٥ ، ٦ .

(٣) سبق تخريجه ، ص ( ٣٦ ) .

وعلى كل حال فهذه العادات التي ذكرتها من أصحاب هذه المنطقة يجب عليهم أن يتوبوا منها ، وأن يتجهوا بالدعاء إلى الله وحده ، وعليهم أن يعلموا أنه لايحل لهم أن يرفعوا هؤلاء الأموات إلى حقوق الألوهية ، بأن يركع لهم ويسجد ، أو يذبح لهم أو ينذر ، ولا إلى حقوق الربوبية ، بحيث يُدْعَوْنَ ويستغاث بهم ، ويُطْلَبُ منهم العون .

والأموات بحاجة إلى الأحياء بأن يدعو لهم إذا مروا بهم ، كما ثبت عن رسول الله ﷺ أنه كان يدعو لهم بقوله : « **السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، يرحم الله المستقدمين منكم والمستأخرين ، نسأل الله لنا ولكم العافية** » (١) ، وأما اتخاذ عيد لهؤلاء الأموات فإنه من البدع ، ليس في الإسلام سوى ثلاثة أعياد : عيد الفطر ، وعيد الأضحى ، وعيد الأسبوع وهو يوم الجمعة ، وعلى المرء أن يتقي الله ويخلص له ويتبع نبيه ﷺ ، والله الموفق .

---

(١) أخرجه مسلم برقم ( ١٦٣١ ) .

## التوسل بالأولياء المقبورين

**٥ وسئل فضيلة الشيخ : من كان يعتقد بأن الأولياء المقبورين ينفعونهم أو يضرونهم مع اعتقادهم بوجود الخالق وبالصلاة ، فما مصير هؤلاء الناس بعد مماتهم؟ هل يكونون بحكم الكفرة أم الموحدين؟** [1] .

**فأجاب :**

أولياء الله سبحانه وتعالى هم الذين جمعوا بين وصفين : الإيمان والتقوى ، كما قال تعالى : **﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢)﴾** [2] .

وحينئذ قبل أن نقول : إن هذا قبر ولي ، يحتاج أن ننظر في سيرة هذا الميت :

**هل هو من المؤمنين المتقين؟** فإذا كان كذلك ، فإنه يرجى أن يكون من أولياء الله .

**أم هو من المخرفين المشعوذين الخداعين** الذين يظهرون للناس بمظهر الصلاح ، وهم أبعد الناس عن الصلاح ؟ فهذا ليس بولي ، وإن زعم أنه

---

(١) لقاء الباب المفتوح ( جـ/ ٣٥ ، ٣٦ ) سؤال رقم (١٠١٤) .

(٢) سورة يونس ، الآية : ٦٢ .

ولي ، **هذه واحدة** .

**الثانية:** إذا تقرر أنه بما يظهر لنا من حاله أنه من المؤمنين المتقين ، فإننا نرجو له الخير ، ونعلم أنه هو بنفسه لايملك لنفسه نفعاً ولاضراً ، وأنه ماآمن واتقى إلا خوفاً من عقاب الله ، ليس له من الأمر شيء ، فإذا كان هو بنفسه لايملك من أمره شيئاً ، فكيف يملك لنا؟ ثم كيف يملك لنا ذلك وهو الآن جثة هامدة ، وربما أكلته الأرض؟ وإذا كان الله قال لنبيه عليه الصلاة والسلام : ﴿**قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ**﴾(١) . وقال له : ﴿**قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ**﴾(٢) . وقال له : ﴿**قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا (٢١) قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٢) إِلاَّ بَلاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ**﴾(٣) .

يعني ليست وظيفتي إلا البلاغ ، فإذا كان كذلك فمن دونه من باب أولى .

والصحابة رضي الله عنهم في العام المشهور ، الذي يعرف بعام الرمادة ، لم يستسقوا بالرسول عليه الصلاة والسلام ، ولم يأتوا إلى قبره ليقولوا : يارسول الله ادع الله أن يُسقنا ، أو أدع الله أن يغيثنا ، وإنما دعوا الله عز وجل ، وطلب عمر من العباس أن يقوم فيدعو الله تعالى بالسقيا .(٤)

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٨٨ .

(٢) سورة الأنعام ، الآية : ٥٠ .

(٣) سورة الجن ، الآيات : ٢١ ـ ٢٣ .

(٤) سبق تخريجه صفحة ( ٢٧ ) .

لكن مع ذلك فهؤلاء الذين يأتون إلى الأولياء ويدعونهم وهم جهال، ليس عندهم من يعلمهم، ولا من ينبههم، ولكنهم يقولون: نحن مسلمون، يصلون ويتصدقون، ويصومون، ويحجون، ويتهجدون، لكن لايعلمون عن هذا الأمر شيئاً، ولم ينبههم عليه أحد، ولم يخبرهم به أحد، فهؤلاء معذورون بجهلهم، ويحكم بأنهم مسلمون، وأما من بلغه أن هذا شرك، ولكنه أصر وقال: إن هذا دين آبائي وأجدادي، ولايمكن أن أحيد عنه، فهذا يحكم بكفره؛ لأن قوله هذا كقول من قال: ﴿**بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ** (٢٢)﴾[١].

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٢٢.




**٦ وسئل فضيلة الشيخ : عن حكم التوسل بالنبي عليه الصلاة والسلام؟**(١) .

**فأجاب :**

التوسل بالنبي ﷺ أقسام :

**القسم الأول : أن يتوسل بالإيمان به :**

فهذا التوسل صحيح ، مثل أن يقول : (اللهم إني آمنت بك وبرسولك فاغفر لي) وهذا لابأس به ، وقد ذكره الله تعالى في القرآن الكريم في قوله : ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾﴾(٢) .

ولأن الإيمان بالرسول ﷺ وسيلة شرعية لمغفرة الذنوب وتكفير السيئات ، فهو قد توسل بوسيلة ثابتة شرعاً .

**القسم الثاني : أن يتوسل بدعائه ﷺ :**

أي بأن يدعو للمشفوع له ، وهذا أيضاً جائز وثابت ، لكنه لايمكن أن

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين (٢/ ٣٤٣) فتوى رقم (٣٧٦) .
(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٩٣ .

يكون إلا في حياة الرسول ﷺ . وقد ثبت عن عمر رضي الله عنه أنه قال : (اللهم إنا كنّا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا)، وأمر العباس أن يقوم فيدعو الله سبحانه وتعالى بالسقيا [١] .

فالتوسل في حياة النبي ﷺ بدعائه جائز ولا بأس به .

**القسم الثالث : أن يتوسل بجاه الرسول ﷺ :**

سواء في حياته أو بعد مماته فهذا توسل بدعي لايجوز ؛ وذلك لأن جاه الرسول ﷺ لاينتفع به إلا الرسول ﷺ ، وعلى هذا فلايجوز للإنسان أن يقول : (اللهم إني أسألك بجاه نبيك أن تغفر لي أو ترزقني الشيء الفلاني) لأن الوسيلة لابد أن تكون وسيلة ، والوسيلة مأخوذة من الوسل بمعنى الوصول إلى الشيء ، فلابد أن تكون هذه الوسيلة موصلة إلى الشيء ، وإذا لم تكن موصلة إليه فإن التوسل بها غير مجد ولا نافع .

وعلى هذا فنقول : التوسل بالرسول عليه الصلاة والسلام ، ثلاثة أقسام :

**القسم الأول: أن يتوسل بالإيمان به واتباعه** : وهذا جائز في حياته وبعد مماته .

**القسم الثاني: أن يتوسل بدعائه** : أي بأن يطلب من الرسول ﷺ أن يدعو له ، فهذا جائز في حياته لابعد مماته لأنه بعد مماته متعذر .

---

(١) سبق تخريجه صفحة ( ٢٧ ) .

**القسم الثالث: أن يتوسل بجاهه ومنزلته عند الله** : فهذا لايجوز لا في حياته ولا بعد مماته ؛ لأنه ليس من عمله .

**فإذا قال قائل**: جئت إلى الرسول عليه الصلاة والسلام عند قبره، وسألته أن يستغفر لي أو أن يشفع لي عند الله ، فهل يجوز ذلك أو لا؟

**قلنا**: لايجوز .

**فإذا قال**: أليس الله يقول : ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا**﴾ .[(١)]

**قلنا له** : بلى إن الله يقول ذلك ، ولكن يقول: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا**﴾ ، و﴿**إذ**﴾ هذه ظرف لما مضى، وليست ظرفاً للمستقبل، لم يقل الله : «ولو أنهم إذا ظلموا» ، بل قال: ﴿**إِذ ظَّلَمُوا**﴾ ، فالآية تتحدث عن أمر وقع في حياة الرسول ﷺ ، واستغفار الرسول ﷺ بعد مماته أمر متعذر ؛ لأنه إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث ، كما قال الرسول ﷺ : «**صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له**» [(٢)] .

فلا يمكن لإنسان بعد موته أن يستغفر لأحد؛ بل ولايستغفر لنفسه أيضاً؛ لأن العمل انقطع [(٣)] .

---

(١) سورة النساء ، الآية : ٦٤ .

(١) سبق تخريجه ، صفحة ( ٣٦ ) .

(٣) ولمزيد من الفائدة أنقل هنا سؤالاً وجه لشيخ الإسلام ابن تيمية هذا نصّه : **هل يجوز التوسل بالنبي ﷺ أم لا ؟** فأجاب رحمه الله فقال :

الحمد لله : أما التوسل بالإيمان به ، ومحبته وطاعته ، والصلاة والسلام عليه ،=

= وبدعائه وشفاعته ونحو ذلك ، مما هو من أفعاله ، وأفعال العباد المأمور بها في حقه .
فهو مشروع باتفاق المسلمين ، وكان الصحابة رضي الله عنهم يتوسلون في حياته ، وتوسلوا بعد موته بالعباس عمه ، كما كانوا يتوسلون به .
وأما قول القائل : (اللهم إني أتوسل إليك به ) فالعلماء فيه قولان ؛ كما لهم في الحلف به قولان : وجمهور الأئمة كمالك؛ والشافعي ؛ وأبي حنيفة : على أنه لا يسوغ الحلف بغيره من الأنبياء والملائكة ، ولاتنعقد اليمين بذلك باتفاق العلماء ، وهذا إحدى الروايتين عن أحمد ، والرواية الأخرى تنعقد اليمين به خاصة دون غيره ؛ ولذلك قال أحمد في منسكه الذي كتبه للمروذي صاحبه : إنه يتوسل بالنبي ﷺ في دعائه ؛ ولكن غير أحمد قال : إن هذا إقسام على الله به ، ولا يقسم على الله بمخلوق ، وأحمد في إحدى الروايتين قد جوز القسم به ، فلذلك جوز التوسل به .
ولكن الرواية الأخرى عنه : هي قول جمهور العلماء ، أنه لا يقسم به ، فلا يقسم على الله به كسائر الملائكة والأنبياء ، فإنا لا نعلم أحداً من السلف والأئمة قال إنه يقسم به على الله ؛ كما لم يقولوا إنه يقسم بهم مطلقاً ؛ ولهذا أفتى أبو محمد بن عبد السلام : أنه لا يقسم على الله بأحد من الملائكة والأنبياء وغيرهم ، لكن ذكر له أنه روي عن النبي ﷺ حديث في الإقسام به فقال : إن صح الحديث كان خاصاً به ، والحديث المذكور لا يدل على الإقسام به ، وقد قال النبي ﷺ : « **من كان حالفاً فليحلف بالله وإلا فليصمت** »[أ] وقال : « **من حلف بغير الله فقد أشرك** » [ب] والدعاء عبادة [جـ] : والعبادة مبناها على التوقيف والاتباع ، لا على الهوى والابتداع والله أعلم .

(أ) أخرجه البخاري برقم (٦١٠٨) . ومسلم برقم (١٦٤٦) . عن ابن عمر رضي الله عنه .
(ب) أخرجه الترمذي برقم (١٥٣٥) وأبو داود برقم (٣٢٥١) وأحمد في المسند (١/ ٤٧) ، (٢/ ٣٤) . قال الترمذي : هذا حديث حسن . وصححه ابن حبان (١١٧٧) والحاكم (١/ ١٨) و (٤/ ٢٩٧) ، وأقره الذهبي قال أحمد شاكر في تحقيق المسند (٣٢٩، ٤٩٠٤) : إسناده صحيح .
(جـ) لحديث النعمان بن بشير رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ : « الدعاء هو العبادة» . أخرجه أبو داود برقم (١٤٧٩) . وابن ماجة (٣٨٢٨) . والترمذي (٣٢٤٧) و (٣٣٧٢) . قال الترمذي : حديث حسن صحيح .
وأما حديث : « الدعاء مخ العبادة» . فهو حديث ضعيف أخرجه الترمذي برقم (٣٣٧١) . عن أنس بن مالك رضي الله عنه . وقال : هذا حديث غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة .




**٧ وسئل فضيلة الشيخ : هل يجوز التوسل بجاه النبي ﷺ ؟ (١) .**

**فأجاب :**

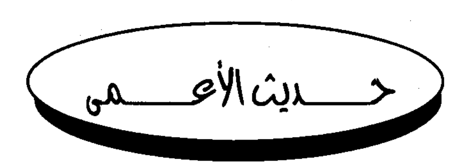
التوسل بجاه النبي ﷺ ليس بجائز على الراجح من قول أهل العلم، فيحرم التوسل بجاه النبي ﷺ ، فلايقول الإنسان : ( اللهم إني أسألك بجاه نبيك كذا وكذا ) وذلك لأن الوسيلة لاتكون وسيلة إلا إذا كان لها أثر في حصول المقصود ، وجاه النبي ﷺ بالنسبة للداعي ليس له أثر في حصول المقصود ، وإذا لم يكن له أثر لم يكن سبباً صحيحاً .

والله عز وجل لايدعى إلا بما يكون سبباً صحيحاً له أثر في حصول المطلوب ، فجاهُ النبي ﷺ هو مما يختصُّ به النبي ﷺ وحده ، وهو مما يكون منقبةً له وحده ، أما نحن فلسنا ننتفع بذلك ، وإنما ننتفع بالإيمان بالرسول ومحبته ، وما أيسر الأمر على الداعي إذا قال : (اللهم إني أسألك بإيماني بك وبرسولك كذا وكذا) بدلاً من أن يقول : (أسألك بجاه نبيك) .

ومن نعمة الله عز وجل ورحمته أنه لاينسدَّ باب من الأبواب المحظورة إلا وأمام الإنسان أبواب رحمته كثيرة من الأبواب المباحة ، والحمد لله رب العالمين .

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين ( ٢ / ٣٤٧ ) فتوى رقم ( ٣٧٨ ) .




**٨ وسئل فضيلة الشيخ : عن هذا الحديث : أن أعمى أتى إلى رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله ادع الله أن يكشف عن بصري. فقال له رسول الله ﷺ: «ألا تصبر» قال: يارسول الله إنه قد شق علي ذهاب بصري ، فقال: فانطلق فتوضأ ثم صل ركعتين، ثم قل:«اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد ﷺ نبي الرحمة، يامحمد إني أتوجه بك إلى ربي فيقضي حاجتي»(١)،ماصحة هذا وما معناه؟ (٢)**

**فأجاب :**

هذا الحديث اختلف أهل العلم في صحته فمنهم من قال إنه ضعيف ، ومنهم من قال إنه حسن ، ولكن له وجهه ليست كما يتبادر من اللفظ ؛ فإن هذا الحديث معناه أن النبي ﷺ أمر هذا الرجل الأعمى ؛ أن يتوضأ ويصلي ركعتين؛ ليكون صادقاً في طلب شفاعة النبي ﷺ له ، وليكون وضوؤه وصلاته عنواناً على رغبته في التوسل بالنبي ﷺ ، والتوجه به إلى الله سبحانه وتعالى ، فإذا صدقت النية وصحت وقويت العزيمة فإن النبي ﷺ يشفع له إلى اله عز وجل، وذلك بأن يدعو النبي ﷺ له ؛ فإن الدعاء

---

(١) سبق تخريجه ص (٥٨) .

(٢) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين ( ٢/ ٣٤٨ ) فتوى رقم ( ٣٧٩ ) .

نوع من الشفاعة ، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : «**ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لايُشركون بالله شيئًا إلا شفعهم الله فيه**»(١) ؛ فيكون معنى هذا الحديث أن هذا الأعمى يطلب من النبي ﷺ أن يدعو الله له ؛ لأن هذا الدعاء نوع شفاعة .

أما الآن وبعد موت النبي ﷺ فإن مثل هذه الحال لايمكن أن تكون ، لتعذر دعاء النبي ﷺ لأحد بعد الموت ، كما قال النبي ﷺ: «**إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له**»(٢) .

والدعاء بلا شك من الأعمال التي تنقطع بالموت ؛ بل الدعاء عبادة (٣) كما قال الله تعالى : ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٦٠)**﴾(٤) .

ولهذا لم يلجأ الصحابة رضي الله عنهم عند الشدائد وعند الحاجة إلى سؤال النبي ﷺ أن يدعو الله لهم ، بل قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين قحط المطر : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون ، وطلب من العباس رضي الله عنه أن يدعو الله عز وجل بالسُّقيا فدعا فسقوا .(٥) وهذا يدل على أنه لايمكن أن يطلب من

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٩٤٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما .
(٢) سبق تخريجه ، ص ( ٣٦ ) .
(٣) لحديث : « الدعاء هو العبادة » سبق تخريجه ص (١٦٩ ) .
(٤) سورة غافر ، الآية : ٦٠ .
(٥) سبق تخريجه ، ص ( ٢٧ ) .

رسول الله ﷺ بعد موته أن يدعو لأحد ؛ لأن ذلك متعذر لانقطاع عمله بموته صلوات الله وسلامه عليه .

وإذا كان لايمكن لأحد أن يطلب من النبي ﷺ أن يدعو له بعد موت النبي ﷺ فإنه لايمكن -ومن باب أولى- أن يدعو أحد النبي ﷺ نفسه بشيء من حاجاته أو مصالحه ، فإن هذا من الشرك الأكبر الذي لايغفره الله ، والذي حرم الله على من اتصف به الجنة . قال الله تعالى : ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ .(١)

وقال تعالى : ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ .(٢) وقال الله عز وجل : ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ .(٣) وقال تعالى : ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ (٤) .

فالمهم أن من دعا رسول الله ﷺ بعد وفاته أوغيره من الأموات لدفع ضرر أو جلب منفعة فهو مشرك شركاً أكبر مخرجاً عن الملة ، وعليه أن يتوب إلى الله سبحانه وتعالى ، وأن يوجه الدعاء إلى العلي الكبير الذي يجيب دعوة المضطر إذا دعاه ويكشف السوء .

وإني لأعجب من قوم يذهبون إلى قبر فلان وفلان، يدعونه أن يفرج

---

(١) سورة يونس ، الآية : ١٠٦ .
(٢) سورة الشعراء ، الآية : ٢١٣ .
(٣) سورة المؤمنون ، الآية : ١١٧ .
(٤) سورة المائدة ، الآية : ٧٢ .

عنهم الكربات، ويجلب لهم الخيرات، وهم يعلمون أن هذا الرجل كان في حال حياته لايملك ذلك، فكيف بعد موته بعد أن كان جثة، وربما يكون رميماً قد أكلته الأرض؟! فيذهبون يدعونه ويتركون دعاء الله عز وجل الذي هو كاشف الضر وجالب النفع والخير، مع أن الله تعالى أمر بذلك وحثهم عليه، فقال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾.[1] وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[2]. وقال تعالى منكراً على من دعا غيره: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ﴾.[3]

اسأل الله تعالى أن يهدينا جميعاً لصراطه المستقيم.

---

(١) سورة غافر، الآية: ٦٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

(٣) سورة النمل، الآية: ٦٢.

## التوسل بالعباس رضي الله عنه

**٩ وسئل فضيلة الشيخ : عن حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن عمر رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب وقال: «اللهم إنا كنا نستسقي إليك بنبينا فتسقينا وإنا سنتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون» (١) ، هل هو صحيح ؟ وهل يدل على جواز التوسل بجاه الأولياء؟ (٢) .**

**فأجاب :**

هذا الحديث الذي أشار إليه السائل حديث صحيح رواه البخاري ، لكن من تأمله وجد أنه دليل على عدم التوسل بجاه النبي ﷺ أو غيره ، وذلك أن التوسل هو اتخاذ وسيلة ، والوسيلة هي الشيء الموصل إلى المقصود ، والوسيلة المذكورة في هذا الحديث (نتوسل إليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا) المراد بها التوسل إلى الله تعالى بدعاء النبي ﷺ ، كما قال الرجل : يارسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يغيثنا» .(٣) ولأن عمر قال للعباس قم ياعباس فادع الله فدعا ، ولو كان هذا من باب التوسل بالجاه ، لكان عمر رضي الله عنه يتوسل بجاه

(١) سبق تخريجه ، صفحة ( ٢٧ ) .
(٢) مجمع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين ( ٢/ ٣٥١ ) فتوى رقم ( ٣٨٠ ) .
(٣) سبق تخريجه ، صفحة ( ٢٣ ، ٢٤ ) .

النبي ﷺ قبل أن يتوسل بالعباس ، لأن جاه النبي ﷺ عند الله أعظم من جاه العباس وغيره ، فلو كان هذا الحديث من باب التوسل بالجاه ، لكان الأجدر بأمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أن يتوسل بجاه النبي ﷺ دون جاه العباس بن عبد المطلب .

والحاصل أن التوسل إلى الله تعالى بدعاء من ترجى فيه إجابة الدعاء لصلاحه لابأس به ، فقد كان الصحابة رضي الله عنهم يتوسلون إلى الله تعالى بدعاء النبي ﷺ لهم ، وكذلك عمر رضي الله عنه توسل بدعاء العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه [1] ، فلابأس إذا رأيت رجلاً صالحاً حرياً بالإجابة لكون طعامه وشرابه وملبسه ومسكنه حلالاً ، وكونه معروفاً بالعبادة والتقوى ، لابأس أن تسأله أن يدعو الله لك بما تحب ، بشرط أن لايحصل في ذلك غرور لهذا الشخص الذي طُلبَ منه الدعاء ، فإن حصل منه غرور بذلك فإنه لايحل لك أن تقتله وتهلَكه بهذا الطلب منه ؛ لأن ذلك يضره .

كما أنني أيضاً أقول إن هذا جائز ولكنني لاأحبذه ، وأرى أن الإنسان يسأل الله تعالى بنفسه دون أن يجعل له واسطة بينه وبين الله ، وأن ذلك أقوى في الرجاء وأقرب إلى الخشية ، كما أنني أيضاً أرغب من الإنسان إذا طلب من أخيه الذي ترجى إجابة دعائه أن يدعو له ، أن ينوي بذلك الإحسان إليه أي إلى هذا الداعي دون دفع حاجة هذا المدعو له ؛ لأنه إذا طلبه من أجل دفع حاجته صار كسؤال المال وشبه المذموم ، أما إذا قصد بذلك نفع أخيه الداعي بالإحسان إليه ، والإحسان إلى المسلم يثاب عليه المرء كما هو معروف كان هذا أولى وأحسن . والله ولي التوفيق .

---

(١) سبق تخريجه ص : ( ٢٧ ) .

## اللهم إني أسألك بحق السائلين

**١٠ وسئل فضيلة الشيخ: عن حكم هذا الدعاء: «اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك» هل للسائلين حق على الله؟** [(١)] .

**فأجاب :**

يجب علينا أولاً أن نعلم التوسل إلى الله تعالى قسمان :

**قسم جائز:** وهو ماجاء به الشرع .

**قسم ممنوع:** وهو مامنعه الشرع .

**والجائز أنواع:** ونعني بالجائز هنا ماليس بممنوع ، فلا يمنع أن يكون مستحباً .

**أولاً:** التوسل إلى الله بأسمائه ، وهذا جائز ، ودليله قوله تعالى :

**﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾** .[(٢)] وكذلك قوله ﷺ : «**أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك ...** »[(٣)] إلى آخر الحديث .

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين ( ٢ / ٣٥٢ ) فتوى رقم ( ٣٨١ ) .
(٢) سورة الأعراف ، الآية : ١٨٠ .
(٣) جزء من حديث سبق تخريجه ، صفحة ( ١٥ ) . وأوله قوله صلى الله عليه وسلم : «**اللهم إني عبدك وابن عبدك ...**» الخ .

**ثانياً**: التوسل إلى الله بصفاته ، ومنه ماجاء في الحديث : «**اللهم بعلمك الغيب ، وقدرتك على الخلق ، أحييني ماعلمت الحياة خيراً لي ، وتوفني ماعلمت الوفاة خيراً لي**» (١) ، فإن علم الله الغيب صفة ، وقدرته على الخلق صفة ، وهذا التوسل إلى الله تعالى بعلمه وقدرته .

**ثالثاً**: التوسل إلى الله تعالى بأفعاله ؛ أن ندعو الله بشء ثم تتوسل إليه في تحقيق هذا الشيء بفعل نظيره ، ومنه حديث الصلاة على النبي ﷺ : «**اللهم صلِّ على محمد، وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم**» . (٢) فإن صلاة الله على إبراهيم وعلى آل إبراهيم من أفعاله .

وكذلك أيضاً تقول : (اللهم كما أنزلت علينا المطر فاجعله غيثاً نافعاً) ، فهنا توسل إلى الله بإنزال المطر وهو فعل من أفعال الله .

**رابعاً**: التوسل إلى الله بالإيمان ، ومنه قوله تعالى : ﴿**رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا** ـ ثم قال ـ **رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ**﴾ . (٣)

**خامساً**: التوسل إلى الله بالعمل الصالح ، ومنه حديث الثلاثة الذين خرجوا في سفر فآواهم الليل إلى غار فدخلوه ، ثم انحدرت عليهم صخرة من الجبل فسدت الباب ، فتوسل كل واحد منهم بصالح عمله فانفرجت الصخرة . (٤)

---

(١) سبق تخريجه ، صفحة ( ١٨ ) .

(٢) سبق تخريجه ، صفحة ( ١٨ ) .

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ١٩٣ .

(٤) سبق تخريجه ، صفحة ( ٢٨ ) .

**سادساً**: التوسل إلى الله بدعاء من ترجى إجابته، يعني أن تطلب من شخص ترجى إجابته أن يدعو الله لك وهذا كثير ، ومنه ماثبت في الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يخطب الناس يوم الجمعة ، فدخل رجل فقال: يارسول الله هلكت الأموال، وانقطعت السبل - يعني من قلة المطر والنبات -، فادع الله أن يغيثنا ، فرفع النبي ﷺ يديه وقال: «**اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا**» ، فما نزل من منبره إلا والمطر يتحادر من لحيته.(١)

**وقولنا** : (التوسل إلى الله بدعاء من ترجى إجابته هذا من النوع الجائز) ولكنه هل هو من الأمر المشروع؟ يعني: هل يشرع لك أن تقول لشخص ما ادع الله لي؟

**نقول : في هذا تفصيل :**

إن كان لامر عام ، يعني طلبت من هذا الرجل أن يشفع لك في أمر عام لك ولغيرك فلا بأس به ، ومنه الحديث الذي أشرت إليه في قصة الرجل الذي جاء النبي ﷺ فقال: (هلكت الأموال وانقطعت السبل) ؛ فإن هذا الرجل لم يسأل شيئاً لنفسه ، وإنما سأل شيئاً لعموم المسلمين.

أما إذا كان لغير عامة المسلمين، فالأولى ألا تسأل أحداً يدعو لك، إلا إذا كنت تقصد من وراء ذلك أن ينتفع الداعي.

فتأتي لشخص وتقول: ادع الله لي، هذا لا بأس به، بشرط ألا تقصد به إذلال نفسك بالسؤال، ولكن قصدك نفع الداعي ؛ لأنه إذا دعا لأخيه

---

(١) سبق تخريجه ، صفحة (٢٣ ، ٢٤) .

بظهر الغيب قال الملك «**آمين ولك بمثله**»[1] فهذه أنواع ستة كلها جائزة.

**أما التوسل الممنوع فهو**: أن يتوسل الإنسان بالمخلوق ؛ فإن هذا لايجوز، فالتوسل بالمخلوق حرام . يعني لا بدعائه ، ولكن بذاته، مثل أن تقول : ( اللهم إني أسألك بمحمد ﷺ كذا وكذا) فإن هذا لايجوز .

وكذلك لو سألت بجاه الرسول ﷺ فإنه لايجوز ؛ لأن هذا السبب لم يجعله الله ولا رسوله سبباً .

وأما ما جاء في السؤال : « أسألك بحق السائلين عليك » فالسائل يسأل هل للسائلين حق؟

**الجواب**: نعم للسائلين حق أوجبه الله على نفسه في قوله : ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**﴾ .[2]وكذلك فإن الله يقول إذا نزل إلى السماء الدنيا : «**من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه**»[3]فهذا حق السائلين ، وهو من فعل الله عز وجل ، والتوسل إلى الله بفعله لابأس به .

---

(١) لحديث : « دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة . . . » من رواية أم الدرداء رضي الله عنها سبق تخريجه ، صفحة ( ٢٦ ) .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٨٦ .

(٣) أخرجه البخاري برقم (١١٤٥) وملم برقم ( ٧٥٨ ) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

# فهرس الموضوعات والفتاوى

الموضـــوع الصفحة

| الموضـــوع | الصفحة |
|---|---|

| الموضـــوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضـــوع | الصفحة |
|---|---|

توزيـــع:

مؤسسة الجريسي للتوزيع والاعلان

ص.ب : ١٤٠٥ الرياض ١١٤٣١

☎ ٤٠٢٢٥٦٤ ـ فاكس ٤٠٢٣٠٧٦